نقدات الأصمعي

على

شعر ذي الرمة

تأليف

الدكتور مصطفى عبد الحفيظ سالم

الأستاذ المشارك في كلية اللغة العربية جامعة أم القرى

١٤١١هـ - ١٩٩١م

رقم الإيداع
١٩٩١ / ٧٦١١
الترقيم الدولى
I.S.B.N.977-00-2080-X
سبتمبر ١٩٩١م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة تمهيدية

ذو الرمة : هو غَيْلانُ بن عُقْبَةَ بن بُهَيْش بن مسعود بن حارثةَ بن عَمرو بن ربيعةَ ابن ساعدةَ بن كعبِ بن عوف بن ثعلبة بن ربيعة بن مِلْكان بن عَدِى بن عبد مناة ابن أُدٍّ ابن طابخةَ بن اْليَاسِ بن مضرَ بن أد بن مَعَدِّ بن عدنان (١) .

وعَدِى بنُ عبد مناة : من قبائل الرِّباب المضرية ، كانت مساكنهم بالدهناء حول اليمامة فى الجنوب الشرقى من نجد ، وهى منطقة واسعة خصبة جيدة التربة ، كثيرة الشجروالكلأ ، طيبة الهواء ، وكانت مرتبع أعراب نجد ، بل والعرب جميعا (٢) . وكانت تنزلها قبائل تميم ، ومنهم بنو مِنْقَر رهط مَيٍّ صاحبة ذى الرمة (٣) . وكان مولد ذى الرمة فى هذه المنطقة فى خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦ هـ) قيل سنة سبع أو ثمان وسبعين ، وتوفى سنة سبع عشرة ومائة .

من أشهر شعراء العرب الإسلاميين ، وضعه ابن سلام فى الطبقة الثانية مع البَعيث ، والقُطامى ، وكثَيِّر .

بلغ بشعره مكانه لدى الخلفاء والأمراء ، وأعجب به الفحول من أمثال جرير والفرزدق ، وسئل عنه جرير فقال : « قَدَرَ من ظريفِ الشِّعر وغريبه وحَسَنِه على مالم يقدر عليه أحد » (٤) .

---

(١) انظر ترجمته فى جمهرة الأنساب ٢٠٠ والشعر والشعراء ٣٥٠ ـ ٣٥٨ والأنساب للسمعانى ١٤/٣ وطبقات ابن سلام ١٦٩ ـ ١٧٣ ووفيات الأعيان ١٨٤/٣ والبداية والنهاية ٣٣٢/٩ وسمط اللآلى ٨٢ والمزهر ٤٢٢/٢ .

(٢) نسب عدنان وقحطان ٦ ومعجم ماستعجم ٨٨/١ وياقوت ٦٣٥/٢ .

(٣) جمهرة الأنساب ٢١٦ والاشتقاق لابن دريد ٢٤٨ .

(٤) نقائض جرير والفرزدق لأبى عبيدة ١٠٤٨ .

وسئل الفرزدق : أتعلم أحدا أشعر منك ؟ فقال : لا ، إلا أن غلاما من بنى عَدِىّ يركب أعجاز الإبل ، ويَنْعَت الفَلَوات » (١) .

وأقر الطرماح لذى الرمة بأن عِنان الشعر فى كفه ، وقال عنه : « هذا والله مُلْهَمٌ ، وما عِلْمُ بَدَوِىٍّ بدقائق الفِطْنة وذخائر كنز العقل المُعَدّ لذوى الألباب ..... أَحْسَنَ ثم أَحْسَنَ .. » وقال الكميت للطرماح فى شعر ذى الرمة « هذا والله الديباج ، لانظمى ونظمك الكرابيس » (٢) .

وأثنى عليه عيس بن عمر الثقفى ، وكان يسائله عن أشياء فى اللغة ويكتب عنه شعره (٣) .

وكان بدويا فصيحا ملما بالغريب ، شهد له بذلك الرواة ، قال حماد : « قدم علينا ذوالرمة الكوفة ، فلم أر أفصح ولا أعلم بغريب منه » (٤) ونقل ابن أخى الأصمعى عن عمه : تقول الرواة والعلماء : من أراد الغريب فعليه بشعر هذيل ، ورجز رؤبة والعجاج ، ومن أراد الغريب من الشعر المحدث ففى أشعار ذى الرمة ، ومن أراد الغريب الشديد الثقة ففى شعر ابن مقبل ، وابن أحمر ، وحميد بن ثور ، والراعى ، ومزاحم .... » (٥) .

---

(١) عن مقدمة تحقيق الديوان ١٨/١ .

(٢) الأغانى ١٥٠/١٠ ، ١٠٨/١٦ ومقدمة تحقيق الديوان ١٩/١ .

(٣) الموشح ٢٨٠ ، ٢٨١ .

(٤) الأغانى ١٠٩/١٦ ومقدمة تحقيق الديوان ٢٠ .

(٥) المصون فى الأدب ١٧٣ .

وهذا الخبر رواه أيضا الرياشى عن يزيد بن مُرّة عن أبى عبيدة ، ورواه ابن الأنبارى عن أبيه عن الأصمعى عن هارون الأعور ، ورواه أحمد بن يحيى عن هشام الكلبى ، وأخبر به المبرد (١) .

وقريب منه مارواه أحمد بن يحيى عن المدائنى أن ذا الرمة قال للفرزدق : كيف ترى هذا الشعر ياأبا فراس ؟ لِشِعْرٍ أَنْشَدَهُ ، قال : أرى شعرا مثل بعر الصيران ، إن شممت شممت رائحة طيبة ، وإن فَتَتَّ فتت عن نَتْنٍ (٢) .

ومن كبار اللغويين أبو عمرو بن العلاء ، معاصر ذى الرمة وصديقه ، كان يستنشده شعره وينقده ، ويرويه ، ومن ثم فهو أعلم الناس به ، وقد سئل عنه ، فقال : « إنما شعر ذى الرمة نُقَطُ عروس تَضْمحل عن قليل ، وأبعارُ ظِباءٍ لها مَشَمٌّ فى أولها ، ثم تعود إلى أرواح البَعْر » (٣) .

وكان يروى قولَ جرير : « لوخَرِسَ ذو الرمة بعد قصيدته « مابالُ عَيْنِك منها الماءُ يَنْسَكِبُ » كان أشعرَ الناس » (٤) .

ولهذا لما سأل بلال بن أبى بردة أبا عمرو : « أتأخذون عن ذى الرمة ؟ قال : إنه لفصيح ، وإنا لنأخذ عنه بتمريض » (٥) .

ولأبى عمرو مآخذ على ذى الرمة تأتى مفصلة بعد فى موطنها إن شاءالله تعالى .

---

(١) الموشح ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(٢) نفسه ٢٧١ .

(٣) السابق ، وطبقات ابن سلام ١٦٩ .

(٤) الموشح ٢٧٢ .

(٥) طبقات ابن سلام ١٧٣ .

وزعم أبو عمرو بن العلاء ـ كما ذكر الجاحظ (١) ـ أن الشعر فُتِحَ بامرىء القيس ، وخُتِمَ بذى الرمة . وفى رواية أبى الفرج (٢) : خُتم الشعرُ بذى الرمة ، وخُتم الرجزُ برؤبة » .

وقد بلغ ذو الرمة الغاية فى التشبيه ، ونعت المفاوز ، والرمال فى الهاجرة ، والوحوش ، والحشرات والإبل (٣) ، وكان أهل البادية ، وأهل اليمن أشد الناس إعجاباً بشعره ، ويقدمونه على امرىء القيس ، وغيره من الشعراء (٤) .

ولا يكاد يخلو مصنف فى العربية والغريب ، والأدب ، والمواضع والبلدان من شواهد شعره ، ونظرة فى مصنفات الكبار ـ كالأصمعى ، وسيبويه ، وأبى زيد ، وأبى عبيدة ، وأبى عبيد ، وأبي عمرو الشيبانى ، والفراء ، وثعلب ، وابن السكيت ، ومن تبعهم من أصحاب المعجمات على اختلافها ـ تؤكد مالشعر ذى الرمة من منزلة لدى العلماء .

لكن تكشفت جوانب فى شعره حالت دون بلوغه مرتبة الفحول ، وجعلت بعض الأئمة من أهل اللغة والعربية يأخذون بالحذر فى الاحتجاج به .

وقد بَيَّن هذه الجوانب شعراء كبار ، ولغويون صيارفة ، ونحويون مبرزون .

ـ فقد روى أحمد بن يحيى ثعلب عن أبى عبيدة أن جريرا سئل عن شعر ذى الرمة ، فقال : « نُقَطُ عَروس وأبعار ظباء ، ومع هذا فقد قَدَرَ من التشبيه على مالم يقدرْ عليه أحد » (٥) .

---

(١) البيان والتبيين ٨٤/٤ ومقدمة تحقيق الديوان ٢١ .

(٢) وفيات الأعيان ١٨٨/٣ والأغانى ١٠٩/١٦ .

(٣) الشعر والشعراء ٤٠ .

(٤) الأغانى ١٠٨/١٦ ومقدمة تحقيق الديوان ١٦ .

(٥) الموشح ٢٧١ .

ومنهم الأصمعى الذى ذكر العلة فى عدم انتظام ذى الرمة فى الفحول ، فقال : ذو الرمة حجة ؛ لأنه بدوى ، ولكن ليس يشبه شعره شعر العرب ، ثم قال : إلا واحدة التى تشبه شعر العرب وهى التى يقول فيها :

.... والبـابُ دونَ أبى غَسَّانَ مَسْدُودُ (١)

وذكر أيضاً أن الكميت بن زيد كان معلما بالكوفة فلا يكون مثل أهل البدو ، وأن ذا الرمة كان أيضاً معلما بالبدو ، وكان يحضر اليمامة والبصرة كثيرا ، وكانا جميعا يستكرهان الشعر ، وأنه طالما أكل البقل والمملوح فى حوانيت البقالين حتى بَشم (٢) .

- وذو الرمة كان يَعْلَم أنه غيرُ مَعدودٍ فى الفُحول ، فقالَ للفرزدق (٣) ، وقد وقف يسمعُ إنشادَه : كيف ترى ماتسمع ياأبا فراس ؟ قال : ماأحسن ماتقولُ ، فقال : فما بالى لا أذْمَرُ فى الفحول ؟ قال قَصَّرَ بك عن غاياتهم بكاؤك فى الدِّمَن ، وصِفَتُك للأبعار والعَطَن ، وأنشد قولَ ذى الرمة :

وَدَوِّيَةٍ لو ذو الرُّمَيْم يَرومُهـــا ... بِصَيْدَحَ أوْدى ذو الرمـيم وصَيْدحُ

قَطعتُ إلى مَعْروفـهـا مُنْكَراتِهـا ... إذا خَبَّ آلُ الأمْعَزِ المتـــوضّحُ

وروى التوزى (٤) عن الأصمعى عن عيسى بن عمر ، قال : قال ذو الرمة للفرزدق : مالى لا أُلْحَقُ بكم معاشرَ الفحول ؟ فقال له : لتجافيك عن المدح ، والهجاء ، واقتصارِك على الرسوم والديار .

---

(١) فحولة الشعراء ٤٠ والموشح ٢٧٠ والديوان ١٣٦٤/٢ .

(٢) الموشح ٢٧٢ .

(٣) الشعر والشعراء ٣٥٠ .

(٤) الموشح ٢٧٤ .والخصائص ٢٩٦/٣ .

وسُئلَ البَطِينُ الشاعر : أكان ذو الرمة مُتقدماً ؟ فقال : أجمع العلماء بالشعر على أن الشعر وُضِعَ على أربعة أركانٍ : مدحٍ رافعٍ ، أو هجاءٍ واضعٍ ، أو تشبيهٍ مصيبٍ ، أو فخرٍ سامقٍ ، وهذا كلُّه مجموعٌ في جرير ، والفرزدق ، والأخطل ، فأما ذو الرمة فما أحـسَنَ قط أن يمدحَ ، ولا أحـسَنَ أن يَهْجُوَ ، ولا أحـسن أن يَفْخَرَ ، يَقَعُ في هذا كُلّه دوناً ، وإنما يُحْسِنُ التشبيه ، فهو رُبعُ شاعر (١) .

- وأيضاً فإنهم كانوا لايعدون بين الفحول من يكتب أو يقرأ المكتوب ؛ فإن ذلك يصبغ شعره بالصنعة والتكلف، ويبعده عن سلامة الفطرة وصفاء الطبع ، وقد كان ذو الرمة كاتبا ومعلما في البدو ، وكان شديد الحرص على تكتم ذلك ، غير أن أبا عمرو ابن العلاء رآه في دكان طحان بالبصرة يكتب ، فقال له : ماهذا ياذا الرمة ؟؟ فقال : اكتم علي يا أبا عمرو (٢).

وروى أبو قطن عن شعبة : « لقيتُ ذا الرمة ، فقلت : أكْتِبْني بعضَ شعرك ، فجعل يملُّ علي ، ويطّلع في الكتاب ، فيقول : ارفع اللام من السين ، وشُقَّ الصاد ، ولاتُعَوِّر الكاف .... » (٣) .

وقرأ حماد الراوية على ذي الرمة شعره ، فرآه قد ترك في الخط لاما ، فقال له حماد : وإنك لتكتب ؟ قال : اكتم علي ، فإنه كان يأتي باديتنا خطاط يعلمنا الحروف تخطيطا في الرمل في الليالي القمر ، فاستحسنتها ، فثبتت في قلبي ، ولم تخطها يدي (٤) .

وقال أيضا لعيسى بن عمر ، وقد عرف منه ذلك : « إياكَ أن يَعْلَمَ هذا أحدٌ » (٥) .

---

(١) الموشح ٢٧٣ .

(٢) الخصائص ٣/٢٩٦ .

(٣) الموشح ٢٨٠ ، ٢٨١ .

(٤) السابق .

(٥) نفسه ٢٨١ .

وأخذ عليه تشبيه عين ناقته بدارة الميم ، فى قوله (١) :

كـأنما عـينُهـا منهـا وقـدْ ضَمَرَتْ　　وضَمَّهـا السَّيْرُ فى بعض الأضا مِيمُ

وقيل له : من أين عرفت الميم ؟ فقال : والله ما أعرفها ، إلا أنى رأيت معلما خرج إلى البادية فكتب حرفا ، فسألته عنه ، فقال : هذا الميم ، فَشَبَّهْتُ به عينَ الناقة (٢) .

وقد عيب مثل هذا على أبى النجم العجلى لما قال :

أقـبلْتُ مِنْ عندِ زيادٍ كـالْخَرِفْ　　تَخُـطُّ رِجْـلاىَ بِخَـطٍّ مُخْتَـلِفْ

تُكَتِّبـانِ فـي الـطَّريـقِ لامَ أَلِفْ

فقيل : لولا أنه يكتب ما عرف صورة لام ألف ، وعناقها له (٣) .

ـ وكان ذو الرمة يقلد شعر الراعى النميرى ، إذ كان راوية له ، وكثيرا ما احتذى معانيه وأفكاره ، وقد بينت ذلك فى البحث ، وذكر الأصمعى عن رؤبة ، قال : دخل على ذو الرمة فسمع قولى :

يَطْرَحْنَ بـالـدَّوِّيَّةِ الأمْلاسْ　　لِكُـلِّ ذِئْبٍ قَفْرَةٍ ولاَسْ

مَوْتـى الـعِظامِ حَيَّةَ الأنْفـاسْ　　أَجِنَّةً فـى قُمُصِ الأغْراسْ

---

(١) ديوانه ٤٢٥/١ ق ٥٣/١٢ .

(٢) الخصائص ٢٩٦/٣ والموشح ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

(٣) الخصائص ٢٩٧/٣ والموشح ٢٧٩ .

فخرج من عندى ، فبلغنى بعد ذلك أنه يقول :

يطرحن بالدويّة الأغفالْ كلّ جنين لثق السربالْ
حيّ الشهيق ميّت الأوصالْ فرّج عنه حلق الأقفالْ

قال الأصمعى : فإذا رؤبة يرى أن ذا الرمة يسرق منه (١) .

وأخذ قول العجاج : « إذا تلقّته الجراثيمُ طفَا »

فقال : « يطفو إذا ماتلقّته الجَراثيمُ » (٢)

ـ ولم يكن الأصمعى وحده هو الذى أبرز مواطن الضعف فى شعر ذى الرمة ، فقد علق عليه بعض أبناء عصره أثناء إنشاده ، واستدرك عليه علماء البيان ، والنحو ، والتصريف ، وغيرهم .

وأذكر هنا بايجاز أنواع تلك المآخذ ؛ لما لها من كبير الأثر فى تجلية الحقيقة ، إذ قصرت البحث على تفصيل نقدات الأصمعى .

• فى قول ذى الرمة (٣) :

إذا انجابَتِ الظّلماءُ أضحَتْ رُؤوسُهُم عَليْهِنْ مِن طولِ الكَرى وَهْى ظُلّع

قال ابن أبى فَرْوَةَ (٤) لذى الرمة : ماعلمت أحدا من الناس أظلعَ الرؤوسَ غيرك ، فقال ذو الرمة : أجَل والمعروف أن الظلع فى الأرجل ، لا فى الرؤوس ، وقد عده أبو هلال من عجائب الغلط .

---

(١) الشعر والشعراء ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

(٢) السابق .

(٣) ديوانه ٧٣٤/٢ ق ٣٠/٢٣ .

(٤) الشعر والشعراء ٣٥٤ والصناعتين ٨٩ وأوهام الشعراء ٥٢ .

• أنشد ذو الرمة على مجلسٍ لبنى طُهَيَّةْ (١) :

دِرَفْسٌ رمَى رَوْضَ الـقِذافَيْنِ مَتْنَهُ　　　بِأعْرَفَ يَنْبـو بِالحَنِيَّيْنِ تَامِكِ

فقال له حَبْتَر بن ضِباب (٢) : أسْمَنْتَ ، فابتَعِثْ . يعنى : ليس هذا مما توصف به النجائب ؛ لأن الرحلة تعجلها عن السِّمَن .

•وأنشدهم أيضا (٣) :

كأننى مِن هَوَى خَرقاءَ مُطَّرَفٌ　　　دامِي الأظَلّ بعيدُ الشَّأوِ مَهْيومُ

والهيام : داء يعترى الإبل من أكلها الكلأ وعليه الندى قبل أن تطلع الشمس ، فتسخن جلودُها وتُلقِى رَوَثها .

لذا قال له حَبْتَرٌ الطُّهَوِىّ : ذاك أكثر لِبَعْره (٤)

• ومنه ماعده أبو هلال العسكرى (٥) من خطأ اللفظ ، قوله :

حتى إذا الهَيْقُ أمْسى شامَ أفْرُخَه　　　وهُنَّ لا مُؤيِسٌ نَأياً ولاكَثَبُ

لأن أكثر ما يستعمل « شام » فى البرق والنار .

• وأنشد فى بائيته المشهورة يصف مَيَّةَ (٦) :

والقُرْطُ فى حُرَّةِ الذِفْرَى مُعَلَّقُه　　　تَباعَدَ الحَبْلُ مِنه فَهْوَ يَضْطَرِبُ

تلكَ الفَتاةُ التى عُلِّقْتُها عَرَضاً　　　إن الكَريمَ وذَا الإسْلامِ يُخْتَلَبُ

---

(١) ديوانه ١٧١٨/٣ ق ١٦/٦٨ .

(٢) الموشح ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٣) ديوانه ٣٨٢/١ ق ١١/١٢ .

(٤) الموشح ٢٨٤ ، ٢٨٥.

(٥) الصناعتين ١٠٧ .

(٦) ديوانه ٣٧/١ ق ٢١/١ ، ٢٢ .

حكى أبو عبيدة (١) عن مُنْتَجع بن نَبهان أنهم عابوه على ذى الرمة ، وقالوا له : جعلتَ لها ذِفْرى كَذِفرى البعير .

وقال أبو عبيدة : الذِّفْرى من المرأة مَوضعُ المَقَذّ ، وهو موضع يرشح من البعير خلف أذنه

• ومثله مما نُعِيَ علَيْه ، قوله (٢) :

ومــيــةُ أحــسنُ الثَقَلَيْن خــداً ... وســـالِفَةً وأحـــسَنُه قَذالا

• وما عابه عليه جرير من قوله (٣) يصف بعيرا قد أعيا من طول الرحلة وقلة الكلأ .

ومُنْتَزِعٌ مِن بـــيـن نِسْعَيْهِ جِرَّةً ... نَشيجَ الشَّجا جاءَتْ إِلى ضِرْسِهِ نَزْرا

يريد : انتزع جِرَّتَه انتزاعا من جوفه ، فلم يخرج له من الطعام الباقى إلا قليل ، وكأنه يتنفس نفس المجهود الذى غص بالبكاء والنِّسْعُ : سير يضفر على هيئة أعِنَّةِ النعال تُشد به الرِّحالُ .

فقال جرير : قاتل الله ذا الرمة ، أما والله لوقال : « من بين جنبيه » ما كان عليه سبيل (٤) .

• وفى وصفه فَحْلَ حُمُر الوحشِ بالملاسة والاستقامة واللين ، يقول (٥) :

على أمْرِ مُنْقَدِّ العِفـــاءِ كـــأنَّه ... عَصا قَسِّ قـوسٍ لينُها واعتِدالُها

---

(١) الموشح ٢٨٨ .

(٢) ديوانه ١٥٢١/٣ ق ٢٨/٥١ وانظر الرسالة الموضحة ٣٥ وخلق الإنسان للأصمعى ١٦٨ ولثابت ٥٣ .

(٣) ديوانه ١٤٢١/٣ ق ١٩/٤٩ .

(٤) الموشح ٢٨٩ .

(٥) ديوانه ٢٦٥/١ ق ٤١/١٤ .

ويروى « عَصا عَسَّطوسٍ » وعليها علق الآمدى ، وابن سنان الخفاجى بأنه « مازال أهل العلم يستكرهون « عسطوس » وكان يمكنه أن يقول : « عصا خيزران » (١) .

• وأنشد له ابن الأعرابى (٢) :

ألاَ طرَقَتْنـــــــا ميَّةُ ابْنَةُ مُنْذِرٍ فـــمــــا أرَّقَ النُّيَّامَ إلاسَلامُهـــا

وقال : أنشدنيه أبو الغمر هكذا بالياء ، وهو فى ديوانه (٣) :

ألا خَلَتْ مَىٌّ وقـــــد نـامَ صَحْبَتى فـــمــــا نَفَّرَ التَّهْويمَ إلا سَلامُهـــا

فعلى رواية ابن الأعرابى يكون من الجمع الشاذ ؛ لأنه لاتقلب الواو ياء فى صيغة الجمع « فُعَّال » (٤) لبعدها عن الطرف ، وقد جعله ابن الحاجب فى « فُعَّل » نحو حُيَّل ، وصُيَّم شاذا ، وفى « فُعَّال » أشذ (٥) .

• وأصلح الفرزدق (٦) لأبى عمرو بن العلاء قول ذى الرمة (٧) :

أقامتْ بها حتى ذَوَى العودُ فى الثَّرى وســـاقَ الثُّريا فـى مُلاءَتِه الـفَجْرُ

قال : إن العود لايذوى أو يجف فى الثرى ، وإنما الشعر « ذَوَى العودُ والثَّرى » .

---

(١) سر الفصاحة ٦١ .

(٢) المنصف ٢/٥ .

(٣) ديوانه ٢/١٠٠٣ ق ١١/٣١ .

(٤) المنصف ٢/٤ ، ٥ .

(٥) شرح الشافية ٣/١٤٣ ، ١٧٣ .

(٦) مجالس العلماء ٢٥٨ والبديع فى البديع ٢٥٤ .

(٧) ديوانه ١/٥٦١ ق ٣/١٥ .

وجعل ابن منقذ قول ذى الرمة من باب التناقض ؛ لأن الذوى : اليبس ، والثرى : التراب الندى .

والبيت فى الديوان « حتى ذوى العود والتوى » وفى روايات أخرى « فى الثرى » .

٥ وعد العلماء فى الأبيات المستكرهة الألفاظ ، المتفاوتة النسج ، القبيحة العبارة التى يجب الإحتراز من مثلها : قول ذى الرمة (١) :

كـأن أَصْواتَ من إِيغـالِهِنَّ بنا   أواخـرِ المَيْسِ أنْقـاضُ الفَراريجِ

يريد : كأن أصوات أواخر الميس أصوات الفراريج من إيغالهن بنا (٢) .

وقوله (٣) :

نضَا البُرْدَ عنه فَهْوَ ذو مِن جُنونِه   أجاريُّ تَسْهاكٍ وصوتٍ صُلاصِلِ

يريد : فهو ذو أجارى من جنونه ، ففصل بين المضاف والمضاف إليه (٤) .

٥ ونعى عليه مجازاته ناقته بالذبح وتقطيع المفاصل ، في قوله (٥) .

إذا ابن أبى موسى بلالٌ بلغتـه   فـقـام بفـأس بين وُصْلَيك جازر

فقيل (٦) : هذا من أقبح الدعاء على من بلّغ إلى المسرات ، وأوصل إلى الطيبات ، وقد قال رسول الله ﷺ للمرأة التى هاجرت من مكة على ناقة ، وقالت له : إنى نذرت إن بلّغتْنى إليك أن أنحرها ، فقال : « بئس ما جزيتها » .

---

(١) ديوانه ٩٩٦/٢ ق ٢٥/٣٠ .

(٢) عيار الشعر ٧٠ والصناعتين ١٦٤ والعمدة ٦٦٠/١ والموشح ٢٩٢ .

(٣) ديوانه ١٣٥٠/٢ ق ٣٤/٤٥ .

(٤) عيار الشعر ١٣٥ والصناعتين ١٦٤ والموشح ٢٩٢ .

(٥) ديوانه ١٠٤٢/٢ ق ٦١/٣٢ .

(٦) انظر سمط اللآلى ١١٨ ، ١١٩ والصناعتين ١٥٨ والموشح ٢٧٥ والخصائص ٣٨٠/٢ وشرح أبيات سيبويه ١٢٩ ، ١٣٠ والنكت ٢١٧ .

وسمعه ابن وكيع ، وهو ينشده ، فقال : هلا قلت كما قال سيدك الفرزدق :

متى تأتى الرصافة تستريحى　　من التصدير والدَّبَرِ الدوامى

٥ إلى غير ذلك مما أدركه عليه النقاد فى مثل عدم تحرزه حينما أنشد عبدالملك بن مروان قصيدته البائية ، وكان لعبد الملك عين دائمة الدمع ، فقال فى مفتتحها :

مابالُ عَينيكَ منها الماءُ ينسَكِبُ　　كأنه من كلى مفرية سَرَبُ (١)

فزجره عبدالملك ورده ، فأرشده بعضهم إلى أن يقول « مابال عينى » (٢)

٥ وقد اشتهر ذو الرمة بأنه كان كثير التنقيح لشعره ، ولعل هذا هو السبب فى تعدد روايته ، وأختلافها ، وقد أحفظ هذا بعض رواته ، فقال له : أفسدت على شعرك . ونقل المرزبانى أنه كان إذا استضعف الحرف أبدل مكانه (٣) . ونقل أبو نصر قول الأصمعى : « سمعت من يذكر عن ذى الرمة أنه لم يزل يزيد على كلمته التى على الباء حتى مات (٤) .

وروى المهلبى ، والأصمعى ، كلاهما عن عيسى بن عمر (٥) ، قال : أنشدنى ذوالرمة (٦) .

وظاهرْ لها مِن يابِس الشَّخْت واستَعنْ　　عليها الصَّبا واجعلْ يديْكَ لَها سِتْرا

---

(١) ديوانه ١/٩ ق ١/١ .

(٢) انظر عيار الشعر ٢٠٤ والرسالة الموضحة ٦٨ والعمدة ٣٩٤/١ ونضرة الإ غريض ٣٩٨ .

(٣) الموشح ٢٨٩ .

(٤) ديوانه ذى الرمة ٨/١ .

(٥) الغريب المصنف ٢٠٣ والتنبيهات ٢١٠ ، ٢١١ والمزهر ٥٥٦/١ .

(٦) ديوانه ١٤٣٠/٣ ق ٢٣/٤٩ .

ثـم أنشـدنى بعـدها « من بائس الشـخت » فـقلت له : كنت أنشـدتنى « من يابس الشخت » فقال : اليُبْس من البُؤْس » .

ويبدو أنه كان يلجأ إلى التبديل والتغيير دونما تريث أو تثبت ؛ فقد سمعه ابن شبرمة ينشد فى الكناسة :

إذا غـيـر النَّأْيُ المحـبين لم يَكَدْ رسيسُ الهوى من حُب ميةَ يبرحُ (١)

فقال له : ياذا الرمة ! أراه قد برح ، ففكر ساعة ، ثم قال :

إذا غـيـر النأى المحـبين لم أجـد ....

فسئل الحكم بن البخترى فى ذلك ، فقال : أخطأ ابن شبرمة حيث أنكر عليه ، وأخطأ ذو الرمة حيث رجع إلى قوله ، إنما هذا كقول الله عز وجل : ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾ * أى : لم يرها ولم يكد (٢) .

والرواية فى الديوان « لم أجد » .

ولعله يكون فى هذا العرض ما يساعد على تجلية الحقيقة فى مآخذ الأصمعى على شعر ذى الرمة ، والوقوف على مدى صحة أو خطأ مَنْ زَعَم أن الأصمعى كان يتعصب على ذى الرمة ؛ لقوله بالعدل (٣) .

---

(١) ديوانه ١١٩٢/٢ ق ٦/٣٩ .

* سورة النور آية ٤٠ .

(٢) الموشح ٢٨٣ وانظر حاشية تحقيق الديوان ١١٩٣/٢ .

(٣) وهو مذهب قوم من المعتزلة ، كانوا يتسمون بأهل العدل والتوحيد . انظر أمالى المرتضى ١٤/١ ـ ٢٠ .

ويبدو أن هذا الزاعم (١) كان شيعيا متعصبا ، فقد حمل على الأصمعى حملة شعواء ، وأتهمه بالنصب ، والكذب ، وأنه كان مجبرا شديد البغض لأمير المؤمنين على رضى عنه .

ولما كان كل من ذى الرمة والأصمعي قمة شاهقة ذات أثر فعال فى تراثنا اللغوى ، عقدت هذا البحث استجلاء للحقيقة التى كادت أن تضيع بين خلافات اللغويين والأدباء حسب مذاهبهم العقدية والعلمية .

ونسأل الله تعالى أن يجنبنا مواطن الزلل ، ويلهمنا الصبر ، ويهدينا إلى الحق ، إنه على مايشاء قدير ، وهو نعم المولى ونعم الوكيل .

دكتور

مصطفى عبد الحفيظ سالم

مكة المكرمة

١٤١١هـ

---

(١) هو على بن حمزة البصرى فى التنبيهات ٢٤٧ ـ ٢٥٠ وانظر أمالى المرتضى ١/١٤ ـ ٢٠ ، ومراتب النحويين ٧٨ والخصائص ٣٠٢/٣ ومجالس العلماء ٦٦ وديوان ذى الرمة ٥٧٨/١ وحاشية تحقيقه ٥٧٩/١ .

مصادر المقدمة (١)

١ ـ الاشتقاق لابن دريد ـ تح عبدالسلام هارون ـ ط السنة المحمدية ١٣٧٨هـ .

٢ ـ الأغاني للأصبهاني ـ تح على محمد البجاوى ـ ط الهيئة المصرية للكتاب ١٣٨٩هـ .

٣ ـ الأنساب للسمعانى ـ تح عبدالله عمر البارودى ـ بيروت ١٤٠٨هـ .

٤ ـ البداية والنهاية لابن كثير ـ تح جماعة ـ بيروت ١٩٨٨م .

٥ ـ جمهرة أنساب العرب لابن حزم ـ تح لجنة من العلماء ـ بيروت ١٩٨٣م .

٦ ـ خلق الانسان لثاب ـ تح عبد الستار أحمد فراج ـ الكويت ١٩٨٥م .

٧ ـ الرسالة الموضحة فى ذكر ابى الطيب المتنبى وساقط شعره لمحمد بن الحسن الحاتمى الكاتب ـ تح د/يوسف نجم ـ دار صادر بيروت ١٩٦٥م .

٨ ـ طبقات الشعراء لابن سلام ـ تح اللجنة الجامعية لنشر التراث ـ بيروت .

٩ ـ عيار الشعر لابن طباطبا العوى ـ تح د/عبدالعزيز ناصر المانع ـ دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٥هـ .

١٠ ـ فحولة الشعراء للأصمعى ـ تح محمد عبد المنعم خفاجى ، طه محمد الزينى ـ المطبعة المنيريه الأزهر ١٩٥٣م .

١١ ـ المصون فى الأدب للحسن بن عبدالله العسكرى ـ تح عبدالسلام هارون ـ الكويت ١٩٦٠م .

---

(١) هذه المصادر لم تذكر فى فهرست مصادر البحث .

«١»

فِي التَّذكيرِ والتأنيثِ

« زَوْجٌ وزَوْجَةٌ »

القرآنُ الكريمُ هو القِياسَ الأَمثلُ ، والحَكَمُ الفَصْلُ في تَمْييزِ الفَصيحِ مِنْ غَيرِهِ في كلامِ العَربِ .

ولفظ « زوج » وَرَدَ في القرآن الكريم مُذكرا ، في الإفرادِ ، والتَّثنيةِ ، والجمع ، قال تعالى :﴿ فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ ﴾ (١)

وقال : ﴿ وَ قُلْنا ياآدَمُ اسْكُنْ أنتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ ﴾ (٢) وقال : ﴿ وأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ و الأنثى ﴾ (٣) وقال : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمونَ ﴾ (٤) .

وقد اتفقَ الأئمةُ على أن هذا الاستعمالَ هو الأفصحُ ، وأنهُ لغةُ أهلِ الحجازِ ، ففى مجاز أبى عبيدة (٥) : « الذكر والأنثى فيه سَوَاءٌ » وقال الأخفش :« المرأة : زَوْجٌ ، والرجل : زَوْجٌ ، وقد يقال أيضا: هما زَوْجٌ للاثنين ، كما تقول : هما سَوَاءٌ ، وهما سِيَّان » (٦) .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٣٠ .

(٢) سورة البقرة آية ٣٥ .

(٣) سورة النجم آية ٤٥ .

(٤) سورة يس آية ٣٦ .

(٥) مجاز القرآن ٣٤/١ .

(٦) معاني القرآن ١٤١ .

وتناقلَ ابنُ الأنباريّ (١)، وابنُ جِنّي (٢)، وغيرُهما(٣) قولَ الفَرَّاءِ (٤) : « الزوجُ يقعُ على المرأةِ والرجُلِ ، هذا قَوْلُ أهلِ الحِجازِ .... وهو أفصحُ عِنْدَ العُلَماءِ » .

وفي شِعرِ ذِي الرمّةِ : (٥)

أذُو زَوْجَةٍ بِالمِصْرِ أمْ ذُو خُصُومَةٍ ... أراكَ لها بِالبَصْرَةِ العَامَ ثاوِيَا

فنقلَ التَّوَّزى ، وأبو حاتِمٍ عن شيخِهِما الأَصْمَعِيّ إِنكارَهُ ذلك علَى ذِي الرمّةِ .

رَوى المبَرِّدُ عن التَّوَّزِيّ ، قال : سمعتُ الأصمعيّ يقولُ : ماأقلَّ ماتقولُ العربُ الفَصحاءُ : فُلانةٌ زوجةُ فُلانٍ ، إنما يَقولونَ : زَوْجُ فلانٍ ، فقال له السِّدْرِيّ : أليس قد قال ذو الرمة : أذو زوجة .... ؟ فقال : إن ذا الرمّةِ قد أكَلَ البَقْلَ والمالِحَ فى حَوانيتِ البقّالينَ حتى بَشِمَ » (٦) .

وقد أوحى رَدُّ الأصمعيّ بأنه قَصَدَ ذا الرمة ، ويؤكد هذا : ماروِيَ عن أبى حاتم (٧) : « قلتُ للأصمعي : يقال للرجلِ : زوجٌ ، وللمرأة زَوْجٌ ، ومِنْ أَهلِ الحجازِ مَنْ يَقولُ : زوجةٌ ، وفلانة زوجةُ فلان ، ورأيتُ الأَصْمَعِيَّ كأنه أنكرَهُ ، فأنشدته قولَ ذِي الرمّةِ ، وقد كان قُرِيءَ عليه شعرُ ذى الرمة فلم يُنْكِرْهُ ....فقالَ : ذوالرمة طالمَا أكَلَ المالحَ والبقْلَ فى حوانيتِ البقالين ، وقد قرأنا عليه قبلَ هذا لأفصح النّاسِ ، فلم يُنكِره :

---

(١) في المذكر والمؤنث ٥١٥/١ .

(٢) في المذكر والمؤنث ٧٠ .

(٣) البحر المحيط ١٠٩/١ .

(٤) في المذكر والمؤنث ٩٥ .

(٥) ديوانه ١٣١١ .

(٦) الموشع ٢٨٣ .

(٧) مجالس العلماء ١٥٠ والمزهر ٣٧٦/٢ .

فَبَكَى بَنَــاتِى شَجْوَهُنَّ وزَوْجَتـــى   والطَّامِعــونَ إِلَىَّ ثُمَّ تَصَدَّعــوا (١)

وقال آخر :

مــِنْ مَنْزِلِى قــدْ أخْرَجَتْنِى زَوْجَتِى   تَهِرُّ فِى وَجْهِى هَرِيـــرَ الـــكَلْبَةِ

وقد أخذ بعضَ الناقمين على الأصمعى هذا الإنكارَ ذريعةً لمهاجمته والتنقُّصِ مِن شأنهِ ، وساعدهم على ذلك أمورٌ منها : مانقله اللّحيانى (٢)، قال : « زعم الكسائى عن القاسم بنِ مَعنٍ أنه سمعه من أزدِ شَنوءةَ بغيرِ هاءٍ ، والكلامُ بالهاءِ ، إلا أن القرآنَ جاءَ بالتذكير .. » .

وماذكره أبو عبيدة من أن بعضَهم يقولُ للأنثى : زوجة (٣) . ووافقَه الأخفشُ (٤) ، وأنشدَ عليه للأخطل :

زَوْجَةُ أشْمَطَ مَرهـــــوبٍ بَوَادِرُه   قَدْ صَارَفى رَأسِهِ التَّخْوِيصُ والنَّزَعُ

وما رواه الفراء (٥) ؛ وتناقلَه عنه اللغويون (٦) من أن « أهل نجد يقولون : زوجة ، وهو أكثر من زوج والأول(أى : زوج) أفصح عند العلماء » .

ماورد من الشواهد الشعرية ، ومنها غير ماذكره أبو حاتم لعَبْدة ، وغيره مما هو مشهور :

---

(١) عبدة بن الطبيب كما فى المفضليات ١٤٨ والبحر المحيط ١٠٩/١ والمذكر والمؤنث ٩٥ .

(٢) المحكم ٣٦٤/٧ واللسان (زوج) .

(٣) مجاز القرآن ٣٢١/١ .

(٤) معانى القرآن ١٤٢ .

(٥) المذكر والمؤنث ٩٥ .

(٦) المذكر والمؤنث لابن جنى ٧٠ والمخصص ٢٣/١٧ ، ٢٤ .

قول الفرزدق (١) :

وإنَّ الَّذِى يَسْعَى يُحَرِّشُ زَوْجَتِى كَسَاعٍ إِلى أُسْدِ الشَّرَى يَسْتَبِيلُها

وأنشدَ أبو الجراح (٢) :

ياصاحِ بَلِّغْ ذَوِى الزَّوجاتِ كُلَّهم أَنْ لَيْسَ وَصْلٌ إذا انحلَّتْ عُرَى الذَّنَبْ

وثمةَ شواهدَ ذكرها بعضُ من يَحْمِل على الأصمعى صراحةً ، ويَتهمُهُ فى عِلْمِهِ ، كعلى ابنِ حَمْزةَ (٣) ، وهى :

قَولُ لقمانَ بنِ عادٍ فى خَبَرٍ لَهُ :

ياذا البِجَادِ الحُلَكَهْ والزَّوْجَةِ المُشْتَرَكَهْ لَسْتَ لِمَنْ لَيْسَ لَكَهْ

وقولَه أيضا :

وآدم قَدْ أخْرَجْتَهُ وَهْوَ ساكِنٌ وزَوْجَتَهُ مِنْ خَيْرِ دارِ مُقامِ

وذكَرَ للعَجّاج لاتسأل الزوجة ريح العِطْرِ

وعن أبى عَمْرٍو أنشدَ : وزَوْجَةٍ كَثيرَةِ السَّيِّاتِ

وقَولُ الشمّاخ : قد أَصْبَحَتْ زَوْجَةُ شَمّاخٍ بِشَر

وقَولُ أخِى المَرّارِ بْنِ مُنْقِذٍ :

تُحِبُّ زَوْجاتُ أقْوامٍ حَلِيلَتَه إذا الأُنُوفُ امْتَرَى مَكْنُونَها الشَّبَمُ

---

(١) ديوانه ٦٠٥ وتهذيب الألفاظ ٤٨١ والسمط ٩٥ وهو لأبى الغريب الأعرابى . سمط اللآلى ٦٥٠ .

(٢) المخصص ٢٤/١٧ واللسان (زوج) والمشوف المعلم ٣٤٧ .

(٣) التنبيهات ٢٠٤ ـ ٢٠٦ .

وقول آخر :

تُحِبُّ زَوْجـــــاتُ أَقْوامٍ حَلائـلَهُ   إِذا الدُّخـانُ تَغشّى الأَشْمَطَ البَرَمَا

وأنشد أيضا بيت الفرزدق السابق ، وقال : « وقول الأصمعى : « لاتكاد العربُ تقولُ زَوجتُه»: غَلطٌ ، وفُصحاءُ العرب يقولون : زَوجٌ وزَوجَةٌ ....فهذا قولُ فُصَحاءِ العَرَبِ ، ولكن الأَصمعيَّ يَنسى فَيَشْرُطُ ، فَيُفْسِدُعليه شَرْطَهُ حِفْظُ غيره ، ولو تَرَكَ الشرطَ لَنَجا » .

ويبدو الأَصْمعيُّ بين هذه المروياتِ المُختلفةِ وكأنه مُتَّهمٌ بالتَّعنُّت والتَّحكُّمِ ، ونحنُ أمامَ حقيقة مُتَمَثِّلةٍ فى التنزيل الكريم الذى آثرَ التعبيرَ بلفظ «زوج» فيما يَقرُبُ من سبْعَةٍ وأرْبعينَ مَوْطناً مُراداً به المرأة زوج الرجل ، ولو كانت اللغة الثانية«زوجة» على قدر منزلة الأولى فصاحة لَذُكِرَتْ فى القرآن ولو مرةً واحدةً مِن بين هذا العدد المذكور .

وهذا دَيْدَنُ الأصمعى فى تمييز الفصيح والأفصح ، فلغة القرآن الكريم هى المقياس الأول الذى يتوارى خلفه أى قياس ، وينتفى به أى اعتبار يُظَن بالأَصْمَعِيِّ . فقد رَوَى أبوحاتم (١) . قال : كان الأصمعى يُنكر زوجة ، ويقول : إنما هى زوج ، ويحتج بقوله تعالى : ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾(٢) . وذكر أبوحاتم أيضا (٣) قولَ الأَصْمَعى : « يقال : ثَوَى يَثْوِى فهو ثاوٍ ، وفى القرآن : ﴿ وَمَاكُنتَ ثاوِياً فِى أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾ (٤) قال : ولا يقال : أثْوىَ يُثْوِى ، فَقلتُ : قالَ أبو عُبيدةَ : أنشدنى حُتْرُوشٌ :

---

(١) المزهر ٣٧٦/٢ واللسان (زوج) وانظر المحكم ٣٦٤/٧ .

(٢) سورة الأحزاب آية ٣٧ .

(٣) فعلت وأفعلت ٥٠٩ مجلة مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى ع ٥ .

(٤) سورة القصص آية ٤٥ .

أثْــوَى وقَصــَّرَ لَيْلَــهُ لِيُزَوِّدا ....

أَسكن الثاءَ ، هو من أَثْوَى يُثْوِي ، وقالَ : لو كان استفهامًا لكان بعدَه جوابٌ لَهُ ، ولكنه خَبَرٌ لَه ، ولذلك قال :

.... فَمَضَتْ وأخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِدا

فلم يَلْتفت (الأصمعىُّ) إلى قولِ أبى عبيدة ، وقال : هو استفهامٌ ، وحرَّكَ الثاءَ من «أَثَوَى» قالَ :وكذا كلامُ العَربِ أن كلَّ استفهام ليس له جوابٌ ، ولكن لِبعْضِه جوابٌ ، وأنشد الأصمعى قال : قال ابنُ أبى مُعيط ، فأدخل ألف الاستفهام :

أَكَفَّ يَدَيْــــهِ ثُمَّ أغْلَقَ بابَـــهُ وَأَيْقَنَ أَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِغـــافِلِ

وهذا ونحوه كثير فى مصنفات اللغة وغيرها ، مما يؤكد تمسك الأصمعى باللغة العالية المتمثلة فى القرآن الكريم .

ولعل هذا ماحدا ببعضهم أن يقول له ـ حين أخذ على تميم قولهم : «زوجة» وقال : هى « زوج » لاغير ، واحتج بقول الله تعالى : ﴿ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ (١) ـ : نعم كذا قال الله تعالى ، فهل قال عز وجل : لايقال زوجة ؟ وعقب ناقل الخبر بقوله : « وكان من الأصمعى فى هذا الوجه شدة وعسر ».

ولا يعنى إنكار الأصمعى « زوجة » رفضها تماما ، فإنه يعلم ـ وهو راوية من الطراز الأول ـ أن من العرب من يقول : « زوجة » ولكنه يفضل الجيد من اللغات ، فقد عقب أبو حاتم على خبر إنكاره هذا بقوله : « وإنمالج الأصمعى ، لأنه كان مولعا بأجود اللغات ، ويرد ماليس بالقوى ، وذلك الوجه أجود الوجهين (٢) »ويقول فى موطن آخر : «كان الأصمعى مولعا بالجيد ، ويضيق فيما سواه (٣)» .

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٧ .

(٢) مجالس العلماء ١٥٠ .

(٣) فعلت وأفعلت ٤٧٠ مجلة مركز البحث العلمى .

وأما رِوايةُ الكِسائى فقد وردت من وجهين ، الأولُ : رِوَايَةُ اللِّحْيانى ، التى فيها : زَعَمَ الكسائىُّ ، والثانى : رِوايةُ الأخفش (١) ، وهى : قال الكسائى فيما حدثنا السَّرَّاجُ أنَّ أكثرَ كَلامِ العرب بالهاء ، وزَعَمَ القاسمُ بنُ مَعْنٍ أنه سمعها من أَزدِشنوءةَ »يعنى : التى بغير هاء .

وكلتا الروايتين تُفيدُ أن أكثرَ كلامِ العربِ «زوجة» بالهاء ، وعلى مافى كلمة «زَعَمَ» مِن معنًى ، فإن رواية الفراء تؤكد تلك الكثرة ، ونَصُّها (٢) : «الزوجُ يقعُ على المرأة والرجل ، هذا قولُ أهل الحجاز ، قال الله عز وجل : ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ (٣) وأهلُ نَجْدٍ يقولون : زَوْجَةٌ ، وهو أَكْثرُ مِن زَوْجٍ ، والأولُ أَفْصحُ عند العلماء » .

ونَقَلَ الفيومىُّ (٤) عن ابن السكيت : «أهل الحجاز يقولون للمرأة :« زوج» بغيرهاء ، وسائرُ العَربِ «زوجة» بالهاء» .

وبعض الأخبار تجعل تميما فى مقابل الحجاز (٥) ، وبعضها يفصل فيجعل تميما ، وكثيرًا من قَيس ، وأَهلِ نَجْدٍ ، فى مقابل أهلِ الحجازِ (٦) .

وهذا يعنى أن الاستعمال الذى أنكره الأصمعى كان منتشرا فى مناطقَ واسعةٍ ، وفى روايةٍ لأبى حاتمٍ ، مايُفيدُ أن بعض أهل الحجاز كان يستعمله ، وقد سبق ذلك ، ونقل الفيومى : «أهل نجد يقولون فى المرأة : زوجة بالهاء ، وأهل الحرَمِ يتكلمون بها » ونقل ابن الأنبارى (٧) عن أبى حاتم : «فلانة زوجة فلان : لغة أهل نجد ، قال : وقد صار أهل الحرمين يتكلمون بها ، يقولون : هذه زوجتك » ..

---

(١) المخصص ٢٦/٤ .

(٢) المذكر والمؤنث ٩٥ .

(٣) سورة الأحزاب آية ٣٧ .

(٤) المصباح (زوج) .

(٥) المحكم ٣٦٤/٧ واللسان (زوج) .

(٦) البحر المحيط ١٠٩/١ .

(٧) المذكر والمؤنث ٥٠٤/١ .

وعلى النقيض من ذلك نجد بعض الثقات ينكر هذا الاستعمال ، كأبى عبيد الذى ينقل عن الأصمعى « حَنَّةُ الرجلِ : امْرأَته ، وحليلَتُه .... وزَوْجُهُ ، قالَ (يعنى الأَصْمعىَ) : ولاتكاد العرب تقول «زوجته» فيقولُ أبو عبيد : هذا الحرفُ بَلَغَنى عنه ولم أَسْمَعْهُ (١) »

وَيعدُّهُ بعضُهم لغةً قليلةً ، فقد ذكر ابنَ السكيت : «يقالُ : هى عِرْسُ الرجُل ...... وزوجه ، ويقال : هى زوجته ، وهى قليلة .. (٢) » وفى موطن آخر : «وقد يقال : هى زوجته » وفى موطن آخر :« الزوج : الرجل الذى له أمراة ، فأما المرأة التى لها زوج فهي زوج ، هذا هو الأفصح ......وقال بعضهم : زوجة لغة .... » (٣) .

وبعضُهم يَحصُرَه فى الشعر ، ككُراعِ النَّملِ ، يقولُ : « وهى زوج الرجل ، ولاتكاد العرب تقول زوجته إلا فى شِعرٍ (٤) » .

ولا يسعنا أمام تعارض الروايات تصديق رواية ونَبْذ أخرى ، غير مكنوناتٍ فى النفس ينبغى أن نبديها ، حتى لانحجب ماعسى أن يكون خيرا ، فإن أبا عبيد ، وابن السكيت من المشهورين بالثقة والصلاح والدين ، وقد نقل الفيومى رواية نسبها لابن السكيت مناقضة لما فى « الإصلاح » و « الألفاظ »كما سبق ، ومن المؤكد أن ماذكره الفيومى كان من كتاب المذكر والمؤنث لابن السكيت ، أو من كتاب آخر نقل عنه ، والمصنفون يتناقلون الروايات خَلَفًا عن سَلَفٍ فى الموضوع الذى يُعنَوْن به ، وقد رأينا رواية الفراء متواترة فى مصنفات المذكر والمؤنث ، فلا نستبعد متابعة ابن السكيت للفراء أيضا فى هذه الرواية .

---

(١) الغريب المصنف ١٦١ .

(٢) تهذيب الألفاظ ٤٨١ .

(٣) انظر إصلاح المنطق ٣٣١ والمشوف ٣٤٧ وتهذيب الإصلاح ٦٩١ .

(٤) المنتخب ١٢٣ .

ويُقَوِّى هذا الخاطرَ أن «الإصلاح» و «الألفاظ» من مصنفات المعانى ، وهذه تَدينَ كُلَّها إلى «مُصنَّف» أبى عبيد ، وسبق أن ذكرنا تعقيب أبى عبيد على الأصمعى بأنه «لم يسمعه» يعنى «زوجة» ومن ثم نحتمل متابعة ابن السكيت عليه ، وكذلك نجد روايةَ كُراع تابعةً لرواية أبى عبيد ، ومُنْتَخَبُ كُراع من أشهر المصنفات فى المعانى .

وعارِضٌ آخرُ، وهو : نَصُّ أبى عبيدة ، والأخفش فى قلة هذه اللغة «زوجة» وكل ماذكر موافقا لمذهب الأصمعى لايَحْتَمِلُ غيرَ تفسير واحد ، هو : حد الفصاحة ، وغيرها ، فإن الإجماع منعقد على فصاحة «زوج» وهذا لايمكن خَرْقُه ، أما قولهم : «زوجة» فيمكن حمله على أن إضافة التاء طَوْرٌ تالٍ من الأطوار التى مرت بها ألفاظ المؤنثات السماعية ، فإن العلاقة الذهنية بين الألفاظ ومدلولاتها حملت المتكلم على التفرقة الحسية بين المذكر والمؤنث بأشهر علامة ، وهى تاء التأنيث ، كقولهم : بَعْلَةٌ ، ورَجُلَة للمرأة ، قال (١) :

شَرُّ قَرينٍ للكَبيرِ بَعْلَتُهْ ... تُولِغ كلباً سُؤْرَهُ أو تَكْفِتُهْ

وقال (٢) :

خَرَقوا جَيْبَ فَتاتِهم ... لم يُبالوا حُرْمَةَ الرَّجُلَه

والأصل : إطلاق البعل والرجل على الذكر . وكذلك الألفاظ المؤنثة : خمر ، كبد ، سكين : آلت إلى خَمْرة ، وكِبْدَة ، وسِكِّينة ، فى بعض اللهجات المحلية (٣) .

(١) اللسان (بعل) .

(٢) السابق (رجل) .

(٣) انظر التذكير والتأنيث فى اللغة ١ـ٧ .

وأما ماورد من الشواهد الشعرية ، فمنه ماهو منسوب لشعراء مشهورين ، كعَبْدة ابن الطبيب فى شاهد أبى حاتم ، وهو تميمى ؛ والأخطل فى شاهد الأخفش ، وهو تغلبى ؛ وأبى الغريب الأعرابى ، فى شاهد أبى الجراح ، والفراء ؛ والفرزدق ، وهو تميمى . وهذه الشواهد لامشاحّة فيها .

ومنه شواهد غير منسوبة ، كالرجز الذى ذكره أبو حاتم (١) ، وماأنشده أبو عمرو (٢) .

ومنه ماهومنسوب ، وليس فى ديوان مَن نُسِبَ إليه ، وأكثره فيما ذَكَرَ على بن حمزة الذى حَمَلَ على الأصمعى ، كالشاهد الذى ذكره للعجاج (٣) ، والذى ذكره للشمّاخ (٤)، والذى ذكره لأخى المَرّارِ بْنِ مُنْقِذٍ (٥) .

وأنشد شاهدا من غير نسبة ، وهو مركب من صدر بيت عَجُزُهُ للنابغة الذُّبيانى ، وهو :

تُحِبُّ زوجــاتُ أقــوام حَــلائِلَهُ   إذا الدّخانُ تَغَشَّى الأشْمَطَ البَرَمَا

وصدرُ بيتِ النابغة (٦) :

هَلاَّ سَأَلتِ بنى ذُبيــان مــاحَسَبى   ....

وذكر رجزا من ثلاثة أشطار ، وبيتاً من الشعر ، ونسبها إلى لقمان بن عاد ، فعلق الميمنى ، قال : «كان لقمان فى الدهر الأول ، وهو الذى كان يتغذى بجزور ، ويتعشى بمثلها ، وهـذه القصائد التى نسبت إليه فى التيجان ، وأخبار عُبَيد بن شَرْيَة ، والإكليل ، وشرح الحِمْيَرِيّة كُلُّها مفتعلة مَكْذوبةٌ عليه مَحمولَةٌ ،كما حملت على عاد وثمود وسبأ وحمير ، فالاستشهاد بمثلها ، والتعويل عليها لايدل على ضبط الراوى

---

(١) وهو : من منزلى قد أخرجتنى زوجتى .

(٢) وهو : « وزوجة كثيرة السَّيَّا ت » .

(٣) وهو : « لاتسأل الزوجة ريح العطر » .

(٤) وهو : « قد أصبحت زوجة شماخ بشر » .

(٥) وهو : « تحب زوجات أقوام حليلته » .

(٦) ديوانه ١٢٨ تح قميحة دار المطبوعات الحديثة ـ جدة .

وجَوْدةَ قَريحَتِه ، ونفاذِ بصيرته ، وصِحّةِ نقده » (١) وكان عليُّ بنُ حمزةَ قال : « وفُصحاءُ العرب يقولون : زوج وزوجة ، فممن قال ذلك لقمان بن عاد رواهُ عنه أهلُ الضَّبطِ الثِّقاتُ» فعقَّبَ الميمنيُّ قائلا : «فقد عَرَفْتَ هؤلاء الذين سماهم أهلَ الضبط ، والثقات ، والفصحاء . (٢) »

ولايَجْمَلُ بنا أن نَقْدَحَ في نَقْل الرجُلِ ، ولكن نلاحظ أنه انطلق من هذه الشواهدِ إلى التشكيك في أمانة الأصمعي وتكذيبه ، واتهام أبي عبيد وإلقاء اللوم عليه ؛ لأنه لم يُخطِّيء الأصمعيَّ ، يقول (٣) : « ولم يكن على المصنف (يعنى أبا عبيد) من ذلك إلا عَيبُ التقْصيرِ ، في أن لَم يُنَبِّهْ على غَلَطِهِ قَبلَنا ، وإن نَقَلَ سقيمَ قولِهِ نَقَلَ صَحيحَهُ ، والروايةُ نَقلٌ ، والمصَنِّفُ ناقدٌ .... » . فكان ينبغي له أن يحتاط بذكر الشواهد التي ذكرها الثقاتُ حتى ينْجُوَ هو ، لا الأصمعيُّ ؛ فإنه أخذَ بقولِ لُقْمان بن عاد ، وأخذ الأصمعي بقولِ اللّهِ عز من قائِلٍ .

وفي تعبير الأصمعي من الدقة ماينفي عنه الإنكارَ المطلقَ لقولهم «زوجة» فإنه قال : «ولا تكاد العرب تقول :زوجته» وقد وافقه أبو عبيد ، بل ونفى أن يكون هو سمعها ، وأكد ذلك كُراعٌ ، وكأنه كان يكمل عبارة الأصمعي حين قال : «ولا تكاد العرب تقول زوجته إلا في شِعرٍ» .

ولا يخفى أنه يجوزفي الشعر مالا يجوز في النثر ، ومن ثم فلذي الرمة مندوحةٌ في قول غيرِه من الشعراء ، وللأصمعي في كتاب الله حجةٌ وسندٌ ، ومن أقوال الثقات تأييدٌ وتحقيقٌ ، فجزاه الله عن الفصحى حِصْنِ الإسلام الحصين خَيرَ الجزاء .

---

(١) التنبيهات ٢٠٥ حاشية تعليق ١ . وانظر أخباره في نشوة الطرب ١/١٠٦ ـ ١٠٩ التيجان ٦٩ـ ٧٣ .

(٢) السابق .

(٣) التنبيهات ٢٠٤ .

أُدْمانَةٌ وأُدْمَانٌ

الأَدَمَةُ فى الناس : السُّمرة ، وفى الإبل والظباء : البَياض .(١)

والذكر آدمُ ، وجمعه أُدْمَانٌ ، وهذا الجمع مَقيسٌ فى أَفْعَل فَعْلاء نحو أَسْوَد وسودَان ، وأعمى و عُميان، وأحمر وحُمران (٢) ، ويجمع أيضا على حُمُر (٣) .

والأنثى أدماءُ ، وجمعُها : أُدْم ، وهو جمع مقيس فى مثل حَمراء وحُمر ، وصَفراء وصُفر ، وسوداء وسود (٤) ولا يجمع على أُدْمان ، ولا يقال : أدمانة كما لايقال : حُمْرانة ولا صُفْرانة (٥) .

وجاء فى شعر ذى الرمة (٦) :

وأدْمــــانةٍ منْ وَحْشِ بَيْنِ سُوَيْقَةٍ ... وبين الجبـالِ العُفْرِ ذاتِ السَّلاسِلِ

وفى موضع آخر :

أقولُ لِلركْبِ لمّا أعْرَضَتْ أُصُلاً ... أدْمــانَةٌ لَمْ تُرَبِّيها الأجاليدُ (٧)

وفى موضع آخر :

والـكَشْحِ مِن أدْمــــانَةٍ عَنودِ ... عَنِ الـظِّبــــــاءِ مُتْبِعٍ فَرودِ

---

(١) ينظر العين ٨/٨٨ والإبل ـ الكنز اللغوى ١٢٨ ، ١٥٠ والمشوف المعلم ٥٨ وتهذيب الإصلاح ٩٨ واللسان (أدم) .

(٢) ينظر شرح الكافية لابن مالك ١٨٦٠ والمساعد ٣/٤٤٩ وشرح الشافية ٢/١٦٨ وتمهيد القواعد ١/١٥٢ رسالة .

(٣) شرح الشافية ٢/٦٨ وانظر المساعد ٣/٤٤٩ ، ٤١٣ .

(٤) شرح الكافية ١٨٢٨ والمساعد ٣/٤٤٩ ، ٤١٣ وشرح الشافية ٢/١٦٩ وتمهيد القواعد ١/١٢٦ .

(٥) ينظر اللسان (أدم) .

(٦) ديوانه ٢/١٣٤٠ ق ١٦/٤٥ .

(٧) ديوانه ٢/١٣٥٨ ق ٩/٤٦ .

فأنكره الأصمعى : لأن أدمانا جمعُ مِثلُ حُمْران وسودان ، ولا تدخله الهاء ، قال الزُّبَيْدِىُّ (١) : «وزعم الأَصمعىُّ أن ذا الرمة أخطأ فى قوله :

«لأُ دْمانة ....

....

وقال : الأُدْمانُ مثلُ الحُمران والسودان : جماعةُ الأَحْمر والأَسْود والآدِم ، ولا يجوز أُدْمانةٌ للواحدة ....» .

وفى الباب الذى عَقَدَه ابنُ جنى (٢) « فى أَغْلاط الأَعْراب » قال : « ومن أغلاطهم مايتعايبون بـه فى الألفـاظ والمعانى ، مـن نحـو قول ذى الرمة :

« والجيدِ مِنْ أُدْمانَةٍ عَنودِ » ....وسنذكر هذا ونحوه فى باب سقطات العلماء ؛ لما فية من الصنعة . »

وقال فية : «إنما يقال أَدْماء وآدَمْ . والأُدمانُ جمعٌ ، كأحمر وحُمران ، وأنت لا تقول : حُمْرانة ولا صُفْرانة ..... وهذا ونحوُه مما يُعْتَدُّ فى أغلاط العرب ؛ إلا أنه لما كان من أغلاط هذه الطائفة القريبة العهد جاز أن نذكره فى سقطات العلماء» .

وقد تواترت الأخبارُ بذلك ، فذكره ابن سيده (٣) ، والجوهرى (٤) ، والبغدادى (٥) ، وصاحب اللسان (٦) ، وصاحب التاج (٧) . والتمس له بعضهم وجها من الصحة ، فحمله على قولهم : خُمْصان للمفرد المذكر ، وخُمصانة للمفردة المؤنثة ، حكى ابن جنى (٨) عن أبى على أنه كان يقول : «بنى من هذا الأصل فُعلانة كخمصانة» ووضحه

---

(١) لحن العامة ٥٥ .

(٢) الخصائص ٣/ ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٩٦ وانظر المزهر ٢/ ٤٩٧ .

(٣) اللسان (أدم) .

(٤) الصحاح (أدم) .

(٥) الخزانة (٢/ ٤١٢) .

(٦) « أدم » .

(٧) « أدم » .

(٨) الخصائص ٣/ ٢٩٦ .

الزُّبيدى ، وعبارته : «وغير الأصمعى قال : أدمان للواحد ، وأدمانة للواحدة (١) » وتعلق بهذا ابن سـيده ، ومن تبعه من أصحاب المعجمات (٢)، غير الجوهرى»فإنه يقف عند حد الصحيح ، قال : يقال : ظبية أدماء ، وقد جاء فى شعر ذى الرمة أدمانة .... وأنكره الأصمعى » (٣) .

وسبق أن «فُعْلاً» جمع مقيس فى فَعْلاءَ مؤنث أفْعلٍ أو مطرد ، أما فُعْلان وفُعْلانة كخُمصان وخُمصانة فلا يطرد فى فُعْلٍ ، ويجمع أيضا على «فِعالٍ» من غير اطراد ، كما يجمع أيضا جمع سلامة ، فقد سمع خُمْصانون ، وخُمْصانات (٤) ، فليس متعينا فى فُعْلٍ ، ولكن آدم وأدماء متعين فيه باطراد .

وقد جُمِعَ بين أدْماء وأدْمٍ فى الشعر الفصيح ، قال الأعورين بَراءٍ الكلابى (٥) :

وأَدْماءَ من أُدْمِ الظباء تَعَرَّضَتْ ... لأَلْبَثَ شَهْراً بَلْ أُقِيمَ لَيَالِيَا

وذو الرمة نفسه جاء بها على الأصل ، قال (٦) :

عَشِيَّةَ أعْرضَتْ أُدْمَاءُ بِكْرٌ ... بناظِرَةٍ مُكَحَّلَةٍ وجِيدِ

---

(١) لحن العامة ٥٥ .

(٢) انظر اللسان والتاج (أدم) .

(٣) الصحاح (أدم) .

(٤) انظر شرح الشافية ١٧٣/٢ ، ١٧٤ ، وشرح الكافية ١٨٥٠ ، ١٨٥١ وتمهيد القواعد ١٣٨/١ .

(٥) تهذيب الألفاظ ٥٦٦ .

(٦) ديوانه ١٨٠٦/٣ ق ٩/٨٦ .

وجمعها على أدمان فى قوله (١) :

كأن أدْمانَها والشمسُ جانِحَةٌ ... وَدْعٌ بِأرجائِها فَضٌّ ومَنْظومُ

ولايعنى هذا أن ذا الرمة أخطأ فى استعمال أدمانة للمؤنث ؛ فهو عربى فصيح ، وإنما النظم هو الذى حمله على استعمال غير الأفصح .

وماعلى مثل الأصمعى من المحققين سوى التنبيه حفاظا على عصمة الفصحى من عوادى النظم .

. . . . .

---

(١) ديوانه ١/٤١٦ ق ٤٢/١٢ .

« ب » فى فَعَلَ وأفْعَلَ باتِّفاقِ مَعْنًى

وَرَدَت الصِّيغَتان فى العربية على اتفاقٍ فى الدلالة ، وعلى اخْتلافٍ فيها ،ولَفَتَتِ المتفقَةُ أنظارَ اللغويين مِن قديم ، فَتَتَبَّعُوا تلكَ الظاهرةَ ، وقرروا أنه « قد يَجيىءُ فَعَلْتُ وأَفْعَلْتُ والمعنى فيهما واحدٌ ، إلا أنَّ اللغتين اخْتلَفتا ، زَعَم ذلك الخليلُ فيَجيىءُ به قومٌ على فَعَلْتُ ، ويُلْحِقُ قومٌ فيه الألفَ فَيَبنونَهُ على أَفْعَلْتُ » (١) .

ونقل الرواةُ حشدًا كبيرًا من اللغات المنسوبة حِيالَ هذه الظاهرة ، تَبَيَّنَ منها أن كُلًّا من فَعَلَ ، وأَفْعَل مُوزعٌ على الكتلتين المشهورتين فى الجزيرة العربية ، وهما الحجازيون ، والتميميون ، فقِسْمٌ منهم يقع فى لغته التعبيرُ بفَعَلَ والقسم الآخر يُعَبِّرُ بأفْعَلَ ، وبعضهم يجمع بين التعبيرين .

وأكدت دراسة المحدثين أن صيغة «أفْعلَ» شائعة عند التميميين ، وصيغة «فَعَلَ» سائرة عند الحجازيين (٢) .

وذهب بعض المحدثين إلى أن صيغة أَفْعَلَ أقدمُ من صيغة فَعَلَ بناء على ماعُرِفَ من مقارنات اللغات القديمة فى الجزيرة العربية (٣) .

وقد وردت الصيغتان فى القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ ومِنهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّى ولَا تَفْتِنِّى ﴾ (٤) وقال : ﴿ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً ﴾ (٥) وقال : ﴿ فَلَمَّا رأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ ﴾ (٦) .

---

(١) الكتاب ٤/٦١ والمزهر ١/٣٨٤ .

(٢) انظر اللهجات العربية في التراث ٥٣٤ .

(٣) التطور اللغوى ٨١ ، ٨٢ .

(٤) سورة التوبة آية ٤٩ .

(٥) سورة الحجرات آية ١٤ .

(٦) سورة هود آية ٧٠ .

وقال تعالى : ﴿ وَيُرِيدُ اللَّهُ أن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكَافِرِينَ . لِيُحِقَّ الحَقَّ وَيُبْطِلَ البَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ المُجْرِمُونَ ﴾ (١) .

وقال : ﴿ لاَ تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ﴾ (٢) .

وفى الشعر : قول امرىء القيس (٣) : ـ

فلما أَجَزْنا ساحةَ الحَيِّ وانْتَحى   بنا بِطْنُ خَبْتٍ ذى قفافٍ عَقَنْقَل

وقول العجاج (٤) :   أَجَازَ مِنَّا جَائِزٌ لم يُوقَم

فجمع بين اللغتين « جاز » و « أجاز »

وجاء فى شعر ذى الرمة (٥) على هذا النحو : ـ

إِذا خَشِيَتْ مِنه الصَّرِيمَةَ أَبْرَقَتْ   لَهُ بَرْقَةٌ مِنْ خُلَّبٍ غَيْرِ مَاطِرِ

فجمع بين « أبرق » و « برق » لأن « بَرْقَةٌ » من « برق »

واللغويون مختلفون حول صيغة أفعل من برق ورعد ، فكان الأصمعى ينكر أبرق وأرعد ، حكى أبو عبيد قال (٦) : « برق لى الرجل ورعد ، وأبرق وأرعد ، وأنكر الأصمعى أبرق وأرعد ، قال ذو الرمة : ـ

إذا خشيت منه ....

---

(١) سورة الأنفال آية ٧ ، ٨ .

(٢) سورة طه آية ٦١ .

(٣) ديوانه ١٥ .

(٤) ديوانه ٢٩٨ .

(٥) ديوانه ٣/١٦٧٠ ق ١٢/٦٧ .

(٦) الغريب المصنف ٥٨٢ تحقيق العبيدى .

وقال في موطن آخر : « ورعَدت السماء ترعُد ، وكذلك رعَدلي بالقول ، وبَرَقَ يرعُدُ ويبرُقُ ، وأنكرهما الأصمعي بالألف ، قال أبو عبيد : أصحابنا يروونها« أرعد وأبرق » بالألف ، ولاأعرفها » (١)

وذكر أبو حاتم (٢)أن الأصمعي لم يعرف أبرق وأرعد ، ولم يلتفت إلى قول الكميت :

أبــرِقْ وأرعِدْ يـــايـــز يدُ فـمـا وعـيـدُك لي بِضائر

قال : هو مولد ، وقد أخبرنا به أبو زيد عن العرب ، ثم أتانا يوما أعربي من بني كلاب محرم ، فأردت أن أسأله ، فقال أبو زيد : دعوني أتولى مسألته فأنا أرفق به ، فقال : كيف تقول : إنك لتَبْرقُ وتَرْعُد في التهدد ؟ فقال : في الجخيف نعم ، وقال : إنك لتُبْرِقُ وتُرْعِدُ ، فأخبرت به الأصمعي ، فقال : لاأعرف إلا برق و رعد ، وأنشد : ـ

إذا جــاوَزْتَ مِن ذاتِ عِرْقٍ ثَنيَّةً فَقُل لأبي قابوسَ ماشِئْتَ فارْعُدِ

وقال : هكذا القديم . قال الأصمعي : وكذلك أيضا : رعَدت السماءُ وبرَقَت ، ورعَد السحاب وبَرق . قال : ولكن يقال : أرْعَدْنا وأبْرَقْنا ، أي : أصابنا رعد وبرق .

وذكر ابن منظور (٣) أن الأصمعي كان ينكر أبرق وأرعد ، ولم يك يرى ذا الرمة حجة .

ونلاحظ حيال نقض الأصمعي هذا الأستعمال مايلي : ـ

(١) أنه ملتزم بحد الفصيح في اللغة .

(٢) وأن الفصيح عنده يعادل القديم ، وكلاهما يناقض الحديث ، والمولد ، والمصنوع .

(٣) وأن مذهبه في كون القديم « برق ورعد » ينقض ماذهب إليه بعض المحدثين من أن « أفعل » هي الصيغة الأقدم .

---

(١) الغريب المصنف ٦٠٥ .

(٢) فعلت وأفعلت ٥٠٧ ، ٥٠٨ مجلة مركز البحث العلمي وتحقيق التراث .

(٣) اللسان (برق) .

(٤) وأن هذا المأخذ لم يكن مخصوصا بشعر ذى الرمة وحده ، وإنما كان موجها لكل شعر أو قول ورد فيه .

وتدلنا الأخبارُ الآتية على حقيقة هذه الملاحظات :

ـ رواية أبى حاتم السابقة ، وردُّ الأصمعى : « هو مولد » ، « هكذا القديم » .

ـ ذكر المرزبانى (١) ، قال : أخبرنى محمد بن أبى الأزهر ، قال : حدثنا محمد بن يزيد النحوى ، قال : زعم الأصمعى أن الكميت أخطا فى قوله :

أرعد وأبرق ....

وزعم أن هذا البيت يروى لمهلهل مصنوع محدث ، وهو قوله : ـ

أنْبضوا مَعْجِسَ القِسِيِّ وأبْرَقْـ نا كما تُوعد الفحولُ الفحولا

ـ ماروراه المبرد عن الجرمى (٢) « كان الأصمعى يقول بعقب رده على الكميت : « ليس هذا بكلام فصيح » .

ـ ماذكره الجاحظ (٣) :« كان الأصمعى لا يقول : « أرعد وأبرق » في الوعيد ، ويقول :

« رعد وبرق » ويزعم أن الكميت أخطأ في قوله : أرعد وأبرق ..... وقال : لم يقل هذا فصيح قط . فقلت : وقد كان يزعم أن الشعر الذى ينحله مهلهل مصنوع ، أعنى قوله : « أنبضوا معجس القسى ...... » فقال رجل معنا في المجلس : لم أر أكثر حفظا وفهما منه ، نعم ، هذا من قديم المولد ، فلما قام ، قلت لأصحابنا : من هذا الشيخ ؟ قالوا : هذا إسحاق بن إبراهيم الموصلى .... » .

---

(١) الموشح ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٢) الموشح ٣٠٩ .

(٣) السابق ٣٠٩ ، ٣١٠ .

وكَانَ الأصمعيُّ لايَرَى الكُمَيْتَ بنَ زيدٍ حُجَّةً « لأَن الكُميتَ كان من أهل الكوفة ، فتَعلَّم الغريبَ ، وروى الشعرَ ، وكان مُعلِّماً ، فلا يَكونُ مثلَ أَهلِ البَدْوِ ، ومن لم يَكُنْ مِنْ أهلِ الحضَرِ ، وكان ذو الرمة مُعلِّماً بالبَدْوِ ، وكان يحضُرُ اليَمامةَ والبصرَةَ كثيرًا ، وكانا جميعا يَسْتَكْرِهانِ الشِّعْرَ ، وكان ذو الرمة أحسنَ حالًا عِندَ الأصمعيِّ مِنَ الكُمَيْت » (١) .

وموقف اللغويين من هذا الاستعمال يدل على أفصحية اللغة التى ذهب إليها الأصمعى .

. . . . .

---

(١) الموشح ٣٠٢ .

زَالَ وَأَزالَ

يذْهَبُ كثيرٌ من اللغويين إلى أن زَالَ وأَزالَ بمعنًى ، تقول : زِلْتُ الشيىءَ ، وأزَلْتُهُ ، وزالَ الرجُلَ ، وأزالَه فلانٌ ، وزالَ اللهُ زَوالَها ، وأزالَ سواءٌ (١) .

وعليه ، فإن « زِيلَ » و « أُزِيلَ » بالبناء للمجهول سواء ، الأول من زالَ ، والثانى من أَزالَ (٢) وفى شعر ذى الرمة (٣) :

وبَيْضاءَ لاتَنْحاشُ منا وأمُّها إذا ما رَأَتْنا زِيلَ منا زَوِيلُها

يريد بـ « بيضاء » بيضة النعامة ، وقوله : « لاتنحاش » يعني : لاتتحرك ولا تفزع ، و « أمها » يعنى : النعامة إذا مارأتنا أخذها منا فَرَقٌ ومُحاذَرَةٌ .

وقال الأعشى (٤) :

هذا النهارُ بدا لَها مِنْ هَمِّها ما بالُها بالليل زَالَ زَوَالُها

وقد استَشْهدَ بالبيتين جماعةٌ معتمدةٌ من اللُّغويين ، فقال صاحب العين (٥) بعدما أنشد بيتَ الأعشى على نصب اللام من « زوالَها » : اخْتلَفوا فيما يَعْنيه ، فقال بعضُهم : أرادَ بِهِ : أَزالَ اللَّهُ زَوَالَها دعاء عليها . وقال بعضهم : معناه : زال الخيالُ زَوالَها ، والعربُ تُلْقى الألفَ ، والمعنى : أَزَالَ ، كما قال ذو الرمة :

وبَيْضاءَ ....

---

(١) ينظر فعلت وأفعلت للجواليقى ق ٤٤ وتهذيب اللغة ٢٥٢/١٣ ـ ٢٥٥ .

(٢) انظر الأضداد لابن الأنبارى ٢٧٧ .

(٣) ديوانه ٣٩١/١ ، ٣٩٢ ق ١٢/ ١٩ .

(٤) ديوانه ٢٧ .

(٥) ٣٨٤/٧ .

ولم يقل : أُزِيلَ .

ونَقلَ أبو عُبَيْدٍ (١) : زِلتُ الشَّيْءَ وأَزَلْتُه .

وقال ابنُ دُريدٍ (٢) : « أَزَلْتُه عن المكان ، وزِلْتُه عَنه : لغتان فصيحتان ، قال الشاعر :

وَبَيْضَاءَ ....

وعلق ابنُ الأَنْبارِيّ على رواية أبى عَمْرو بنِ العَلاءِ لبيت الأعشى « زال زوالُها » برفع اللام ، واعتباره إقواء ، فقال (٣) : « وقال الآخر :

وَبَيْضَاءَ ماتَنْحاشُ ....

فهذا يدل على أن « زِيل » بمعنى « أُزِيلَ » و « زَالَ » بمعنى « أَزالَ » .

ونقل الأزهرى (٤) عن اللحيانى ، يقال : لَماَّ رآنى زِيلَ زَوِيلُه وزَوَالُه من الذُّعْرِ والْفَرَقِ ، أى : جانِبُه ، وأنشدَ بَيْتَ ذِى الرمة السابق .

وأنكر الأَصمعىّ أن يكون زالَ وأَزالَ بمعنى ، وقال : زِلتُ من مكانى أزول زوالا ، وأزَلْتُه عن مكانه إزالة (٥) .

وكان الأصمعى أنكر أيضا أن يكون « هَلَكَ » و « أَهْلَكَ » بمعنى ، فقال أبو حاتم (٦) : « سَأَلْتَ الأَصْمَعِىَّ عَن قَولِ ذِى الرمةِ فى أُحْجِيَّةٍ لَهُ (يعنى البَيْضَةَ) :

وَبَيْضَاءَ لاتَنْحَاشُ ....

---

(١) الغريب المصنف ٥٧٣ .

(٢) جمهرة اللغة ٨٢٧ .

(٣) الأضداد ٢٧٧ .

(٤) تهذيب اللغة ٢٥٣/١٣ .

(٥) السابق ٢٥٢/١٣ .

(٦) فعل وأفعل ٥١٦ مجلة البحث العلمي وتحقيق التراث .

فَلَمْ يَقُلْ شيئًا ، وقالَ : لا أَدرِي ما الوَجْهُ فيهِ ، فسألته عن قولِ الأعشى :

هَذَا النَّهـارُ ....

فقال : لاأَدْرِي ماوَجْهَهَ ، ولم يقل شيئًا ، وإنما سأَلْتَهُ ؛ لأَنَّ بعضَ شيوخِنا قالَ : زالَ اللّهُ زَوالَها وأَزالَ سواء ، وهَلَكَهُ وأَهْلَكَهُ سواء ، فأَنْكَرهُما ، وقال : إنما غلط (يعنى القائل بذلك) لقوله :

وَمَهْمَهٍ هـالـكِ مَنْ تَعَرَّجَا

إنما هو : « هَالِكٍ مَنْ تَعَرَّجَ فيهِ » و « هَالِكٍ الْمُتَعَرِّجُ فيهِ » وأما قولُ الأَعْشى : فَمِنَ المقلوبِ المزالِ عن جِهَتِهِ ، كما قَلَبوا قَوْلَ الْجَعْدِيِّ :

كانَتْ فَرِيضَةَ ماأتَيْتَ كما كـان الزِّناءُ فَريضـةَ الرَّجْمِ

فكأنه أراد ، وهو يدعو عليها : زالَت المرأَةُ زَوالَ اللَّيل ، فذهب ، فقلب ، فقال : زال الليلُ زَوالَها ، وإنما هذا دعاء عليها ، فقلب الكلام ....»

ومذهب الأصمعى فى ذلك قوى ، رغم إجازة اللغويين ماأنكره ، ومما يؤكده :

- رِوَايَةَ شيخِ اللُّغَوِيِّينَ أبى عَمْرِو بنِ العَلاءِ (١) بَيْتَ الأعشى « زَال زوالُها » برفع اللام ، وإيثاره ذلك - مع الإِقواء - على روايةِ النَّصب .

---

(١) ذكره ابن الأنبارى في الأضداد ٢٧٧ والأزهرى في التهذيب ٢٥٤/١٣ وفي اللسان (زول) : قال أبو عمرو : هذا مثل للعرب قديم تستعمله هكذا بالرفع ، فسمعه الأعشى فجاء به على ا ستعماله ، والأمثال تؤدى على مافرط به أول أحوال وقوعها ، كقولهم : « أطرى إنك ناعلة » و « الصيفَ ضيعت اللبن » و « أطرق كرا » و « أصبح نومان » يؤدى ذلك في كل موضع على صورته التي أنشيء في مبدئه عليها .

- اللُّغَةُ العاليةُ الممثلَةَ فى لغةِ القرآن الكريم تُؤَيِّدُ ماذهبَ إليه الأصمعى فى كل ماورد من آيات قرآنية ، قال تعالــى : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُم لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ ﴾ (١) وقال : ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَالَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ (٢) وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ﴾ (٣) .

وفى قوله تعالى : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ (٤) قرأ حمزة (٥) ﴿ فَأَزَالَهُمَا ﴾ وقال الأخفش (٦) : أخذها من زال يزول ، تقول : زال الرجلُ وأزاله فلانٌ .

- وقد حاول بعض اللغويين تَوْجِيهَ بيتِ ذى الرمة ، كما حاولَ بعضُهُمْ تخريج بيت الأَعشى ، فقال ابن برى (٧) : يَحْتمل أن يكون « زِيلَ » فى البيت مبنيا للمفعول من زَالَهُ اللَّهُ ، والزَّوِيل بمعنى الزَّوَال ، قال : وَيَحْتَمِل أن يكون « زِيلَ » لغة فى زالَ ، كما يقال فى كاد : كِيدَ .... قال : ويدل على صحة ذلك أنه يروى « زِيلَ مِنَّا زَوَالُهَا » و « زَالَ مِنَّازَوِيلُهَا » قال : فهذا يدل على أن زيل بمعنى زال المبنى للفاعل دون المبنى للمفعول » .

- والمجيزون لهذه اللغة يقدمون اللغة التى قدمها الأصمعى ، وهذا ظاهر فى النصوص السابقة ، وفى قول ابن السكيت (٨) : « أزالَه عن مكانه يُزيلُه إزالة ، ويقال : أَزالَ اللَّهُ زَوَالَه ، وزَالَ زَوَالَه : إذا دعى عليه بالبلاء والهلاك » .

---

(١) سورة إبراهيم آية ٤٦ .

(٢) سورة إبراهيم ٤٤ .

(٣) سورة فاطر آية ٤١ .

(٤) سورة البقرة آية ٣٦ .

(٥) السبعة ١٥٣ والكشف ٢٣٥ والدر المصون ١/٢٨٧ .

(٦) معانى القرآن ٦٧ وانظر معانى القرآن وإعرابه للزجاج ١/١١٥ .

(٧) عن اللسان (زيل) .

(٨) إصلاح المنطق ٢٧٢ .

وقول الجوهرى (١) : « زِلْتُ الشَّيىءَ عن مكانِهِ أَزِيلُهُ زَيْلًا لغة فى أَزَلْتُهُ ....»

وهكذا يظل الأصمعى على ماعهدناه حصنا حصينا للغة المثالية الفصحى لغة القرآن الكريم .

(١) الصحاح (زيل) .

وَجَفَ وأَوْجَفَ

ورد في شعر ذي الرمة (١) :

مـــاظَلَّ مُذْ أَوْجَفَتْ فيَ كُلِّ ظاهِرَةٍ بالأَشْعَثِ الوَرْدِ إلا وهو مَهْمـــومُ

يعني حمارَ وَحْشٍ اهتم لما رأى البُهْمَى هاجت وجفَّتْ وأَذْرَتْ سفاها الريحُ فآذَتْهُ ، وقد كان قَبْلُ رَخِيَّ البال وهي رطبة ، والحافر كله شديد الحب للبهمى ، وهي ناجعة فيه .

وأسند أوجفت إلى الريح ، وهو يعني أنها أيبست البهمى ، وأطارت شوكها (٢) .

والتعبير بأوجف ههنا خطأ ، وصوابه : وَجَفَتْ ؛ لأنه يقال : وجفت الريح من غير ألف ، وفي القرآن الكريم : ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴾ (٣) ويقال : وَجَفَ البعير يجف والفرس يَجِف وجيفا . ويقـال : إن عينه عـلى حبيب لتَكِفُ وإن قلبه عليه لَيَجِف (٤) .

أما أوجف ففي التعدي ، نحو قوله تعالـــى : ﴿ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ ﴾ (٥) وفي الحديث : « ليس البر بالإيجاف » (٦) ويقال : أوجف دابته : إذا حثها على السير السريع ، ولا يقال : أوجف البعير .

وفي قول ذي الرمة :

«أوجــــــــــفـت .... بالأشــعث الورد ....».

---

(١) ديوانه ١/٤٣٩ ق ٦٨/١٢ .

(٢) ينظر شرح الديوان ، والمحكم ١/٢١٧ ، واللسان (شعث) .

(٣) سورة النازعات الآيتان ٨ ، ٩ .

(٤) عن الأصمعي في شرح الديوان .

(٥) سورة الحشر آية ٦ .

(٦) النهاية ٥/١٥٧ .

يَقولُ الأصمعى : « لم يُحْسِنْ أنْ يَقولَ هذَا ، هذا كَمَا قالَ : « أَسَاءَ رَعْياً فَسَقَى » كَأَنَّه يَنْبَغِى أَن يَقولَ : وَجفَت البُهْمَى فَخَبَّتْ خَبَبا ، فَيَحْسُنُ المعنى ، وجاءَ ذو الرمة بِالعَوِيصِ ، وهُوَ وَجْهٌ ضَعيف ، قال : وَجَفَت الأرْضَ بِالْبُهْمَى ، ووَجَفَت البُهْمَى ، وهذا كقولك : خَرَجَ ، وخَرَجْتَ به ، فإِذا أَلْقَيْتَ الصِّفَةَ قُلْتَ : وجف النبت ، وأوجفتها الريح ، ووَجَفَتْ دابتى : هى الفاعلة ، إذا فَعَلَتْ هى ، ووَجَفْتُ بها ، وأَوْجَفْتُها ، إذا ألقيت الصفة أوصلت الفعل إلى الاسم » (١) .

وهذه من دقائق اللغة التى لايحسن الوقوف عليها إلا أمثال الأصمعى ، فجزاهم الله عن العربية خير الجزاء .

وفى البيت المذكور لذى الرمة مأخذ آخر للأصمعى سنذكره فى موطنه إن شاء الله تعالى

. . . . .

---

(١) شرح الديوان ١/ ٤٤٠ .

« جـ » فِى المُلاءَمَةِ بَيْنَ الأَلْفاظِ ومَعانِيها

بين مَعْنَيَىْ « دَوَّمَ » و « دَوَّى »

يقال للطائر إذا صَفَّ جناحيه فى الهواء وسَكَّنَهما ولم يُحَرِّكْهما كما تفعل الحِدَأُ والرَّخَمُ : قد دَوَّمَ الطائرُ تَدوِيما ؛ لِسكُونه وتركه الخَفَقَان بجناحيه . ويقال : التَّدْويمُ : تَحْليقُ الطائرِ فى الهواءِ ودَوَرَانُه ، والشَّمسُ لها تَدْوِيمٌ ، كأنها تَدُورُ فى مُضِيِّهَا (١) ، قالَ ذو الرمة (٢) :

مُعْرَوْرِياً رَمَضَ الرَّضْراضِ يَرْكُضُهُ ... والشَّمْسُ حَيْرَى لَهَا بالجَوِّ تَدْوِيمُ

ودَوَّى فى الأرض : ذَهَبَ فيها ، ويُقال للفلاة الواسعة دَوِّيَّةٌ ؛ لأنها تُدَوِّى بِمَنْ صارَ فيها أى : تَذْهَبُ بهم . ودَوَّى فى الأرضِ : مثل دَوَّمَ فى السماء .

وعن الأصمعى : دَوَّى الكَلْبُ فى الأرضِ ، كما يقالَ : دوَّمَ الطائرُ فى السماء : إذا دار فى طيرانه ولزم السَّمْتَ فِى ارْتِفاعِه ، قال : ولا يكون التدويم فى الأرض ، ولا التدويه فى السَّماءِ (٣) .

وفى شعر ذى الرمة (٤) :

حَتَّى إذا دَوَّمَتْ فى الأرض أدْرَكَه ... كِبْرٌ ولو شاءَ نَجَّى نَفْسَهُ الهَرَبُ

يصف ثورا وحشيا تطارده الكلاب ، و « دَوَّمَت الكِلابُ فِى الأَرْضِ » أى : دارَتْ ، والتَّدويمُ : أن تَرى الشَّيْءَ من بَعيدٍ كأنهُ يَدورُ (٥) .

---

(١) تهذيب اللغة ١٤/٢١١ واللسان (دوم) و (دوا) .

(٢) ديوانه ١/٤١٨ ق ١٢/٤٥ .

(٣) تهذيب اللغة ١٤/٢١١ ، ٢١٢ والصحاح (دوى) والأضداد لابن الأنبارى ٨٣ ومايجوز للشاعر في الضرورة للقزاز ١٢٥ .

(٤) ديوانه ١/١٠٢ ق ١/٩٠ .

(٥) شرح الديوان ١/١٠٢ .

وقد وضـــع ذو الرمـة التَّذويمَ موضِعَ التَّذوِيَة ، والصوابُ بناءً على ماسَبَقَ أَن يَقولَ : « دَوَّتْ » ومن ثــم عـابَهُ الأصـمـعى ، قـالَ : « ولَمْ يَضَع ذو الرمَّـة هذا الحـرفَ فى مَوضِعِهِ ، إنما التَّذويمُ فِى السماءِ ، يقال للطائر إذا دار وارتفع : قد دَوَّمَ .... » (١) .

وقد تناقل العلماء هذا المأخذ عن الأصـمعى ، فـمنهم من وافقـه ، ومنهم من خـالفه ، فممن وافقه أبو عُبَيْدٍ ، قال (٢) : دَوَّمَ الطائرُ فى السماءِ : جعلَ يدورُ فيـهـا ، ودَوَّى فِـى الأَرْضِ ، وهو مِثْلُ التَّذويم فِى السَّماءِ،وقول ذى الرمة :

حَتَّى إذا دَوَّمَتْ فى الأرض راجَعَـهُ ....

هو اسْتِكْراهٌ » .

ومنهـم ابن قتـيبـة (٣) ، وابنُ عَـبْـدِ رَبِّـهِ ، وابن جنى ، وابن فـارس ، والسـيـوطى ، وغيرهم ، فجعله ابنُ عبدِ ربِّه (٤) مما أُدْرِكَ على ذى الرمة ، وفى باب سقطات العلماء وضعه ابن جنى (٥) فـيـما عِيب على ذى الرمة ، وتبعه السيوطى (٦) فى باب معرفة أغلاط العرب .

وقال ابن فارس (٧) : « وأما قوله يصف الكلاب :

حَـتَّى إذا دَوَّمَتْ ....

فَيُقالُ : إنه أخطأَ ، وَإِنما أَرَادَ « دَوَّتْ » فقالَ : دَوَّمَتْ » .

---

(١) شرح الديوان ١٠٢/١ .

(٢) الغريب المصنف ٤٨١ والمخصص ١٣٧/٨ .

(٣) في الشعر والشعراء ٣٥٦ وأدب الكاتب ٢٠٢ .

(٤) في العقد الفريد ٣٦٤/٥ .

(٥) في الخصائص ٢٩٦/٣ .

(٦) في المزهر ٤٩٧/٢ .

(٧) في المقاييس ٢١٥/٢ .

ومنهم من خالف الأصمعى ، فصحح قولَ ذى الرمة ، وهم جماعة مختلفون من حيث أوجه التخريج ، فمنهم من جعل « دَوَّمَ » بمعنى أبْعَدَ ، ورده إلى الدَّوَام من دامَ يَدومُ ، وهذا ماذهب إليه ابن الأعرابى والأخفش (١) .

ومنهم من استشهد على صحته بما ورد فى قول رؤبة (٢) :

تَيْماءَ لا يَنْجو بِهـا مَنْ دَوَّما ... إذا عَلاها ذو انْقِبـاضٍ أجْذَما

وهذا نقله الأزهرى عن أبى الهيثم .

ومنهم من صوبه بناء على قولهم : بالرجل دُوَامٌ ، أى : دُوَارٌ ، وبتسميتهم الدُّوَّامة ؛ لحركتها ودورانها ، وهذا لابن الأنبارى (٣) ، وقد جرى فى فلكه أبو الطيب اللغوى حيث قال : « وأنكر ذلك غيره (يعنى الأصمعى) من أهل اللغة ، وقالوا : يكون التدويم فى الأرض وفى السماء جميعا ، واحتجوا بتسمية الدُّوَّامة .... » (٤) .

وكذلك على بن حمزة ، وهذا من أشد الناس تَحمُّلًا على الأصمعى ، وقد قال : « لو كان التدويم لايكون إلا فى السماء لم يجز أن يقال : به دُوَامٌ ، كما يقال : به دُوَارٌ ، وما قالوا : دُومة الجَنْدَلِ ، وهى مجتمعة مستديرة (٥) .

والقزاز القيروانى الذى جعل أصل التدويم : الاستدارة ، وقال : « وأصله من الدُّوَّامَةِ » (٦) .

---

(١) اللسان (دوم) .

(٢) ديوانه ١٨٤ .

(٣) الأضداد ٨٣ .

(٤) عن حاشية تحقيق الديوان ١٠٢/١ .

(٥) عن اللسان (دوم) .

(٦) مايجوز للشاعر في الضرورة ١٢٦ .

وابن السَّيدِ الذى كان مُولَعًا بِتعقُّبِ ابن قُتيبةَ الذى الْتزمَ إثباتَ الفَصيح فى أدب الكاتِبِ تَبعًا لمذهب الأصمعى فى تَنقِيَةِ اللُّغَةِ ، يقول : « هذا الذى ذكَرَهُ قولُ الأصمعى ، وأجاز غَيْرُه دَوَّمَ فى الأرضِ ، وهو صَحيحٌ ، ومنه اشْتُقَّت الدُّوَّامَة ، وكل شيىءٍ اسْتدار فى هواءٍ كان أو أرضٍ ، فهو دائمٌ ومُدَوِّم ....وكان (الأصمعى) مُولَعًا بالطعن على ذى الرمة » (١) .

وذهب أبو على الفارسى مذهبا آخر خالف به السابقين جميعا ، وكان تعقيبه على أبى عبيد خاصة ، قال (٢) : « قال أبو عبيد ذلك ؛ لأنه يجعل التَّدْويمَ فى السماء ، وهذا للحيوان الطائر ، ودَوَّى فى الأرض ، وهذا للحيوان الماشى على مذهبه ، وإنما يَصِفُ ذو الرمة هنا كِلابا وثَوْرَ وَحْشٍ ، والصحيح بعكس قولِ أبى عبيد ، إنما التَّدْوِيَةُ فى السماءِ ، والتَّدْويمُ فى الأرض ، فقول ذى الرمة ليس بمسْتَكْرَهٍ » .

ونحن أمام فريقين لكل منهما وجه ، فريق الأصمعى ، وهم : أبو عبيد ، وابن قتيبة ، وابن عبد ربه ، وابن جنى ، وابن فارس ، والسيوطى . وهؤلاء متفقون على ماذهبوا إليه ، وأكثرهم ملتزم بما هو أفصح استعمالا عند العرب ، وإمامهم فى ذلك هو الأصمعى .

والفريق الآخر ، وفيه : ابن الأعربى ، والأخفش ، وأبو الهيثم ، والفارسى ، وابن الأنبارى ، ومن تبعه كأبى الطيب اللغوى ، وعلى بن حمزة ، وابن السيد .

وهؤلاء مختلفون فى التوجيه ، فابن الأعرابى والأخفش يحاولان تصويبَهُ بجعله من الدَّوَامِ ، أى : مُداوَمةِ الكلابِ على السَّيْرِ ، وهذا غيرُ مُرادٍ على وجه الدِّقةِ ؛ لأن التدويمَ المقصودَ فى بيت ذى الرمة : هو الدَّوَران ، من قولهم : دوَّمَت الشمسُ فى كَبِدِ السماء ، أى : دارَتْ ، وهو فى شعر ذى الرمة ، كما ذكرناه فى تفسير التدويم .

---

(١) الاقتضاب ١١٢/٢ ، ١١٣ .

(٢) عن المخصص ١٣٧/٨ .

وقد لاحظ هذا ابن الأعرابى ، فقال : « دَوَّمَتْ : أدامَتْه ، والمعنيان مقتربان » (١) فقوله هذا يدل على ماذكرناه .

وأما ماذكره أبو الهَيْثَم من قول رؤبة ، فهو قوى غير أنه شاهد واحد ، ويحتمل أن يكون قوله : « مَنْ دَوَّما » على وجه التشبيه .

وأما احتجاج ابن الأنبارى بقولهم : بالرجل دُوَامٌ ، أى : دُوَارٌ ، وبتسميتهم الدُّوَّامَة ، فهو قول مَحْكِيٌّ عن الأصمعى ، فقد نقل الأزهرى (٢) عن أبى عبيد (٣) عن الأصمعى : أخذه دُوَام فى رأسه مثل الدُّوَار ، ودُوَّامَة الغلام برفع الدال وتشديد الواو .... إلخ » .

أى أنه لا يجهل ذلك ، كما لا يجهل كون تدويم الطائر فى السماء ، وتدوية الكلب فى الأرض ، وأن الدُّوَّامة من ذلك ؛ لأن الاشتقاق واحد ، غير أنه للأساليب اختصاصات فى اللغة ، فكما أن الدَّوامَ يكون بمعنى السكون فى الحديث (٤) «نهى النبى ﷺ أن يُبال فى الماء الدائم ثم يُتَوَضأ منه » يكون بمعنى الحركة والدوران فى الدُّوَّامة ، والتَّدْويم ، والدُّوَام بمعنى الدُّوار مع أن الاشتقاق واحد .

أما تعلق على ابن حمزة بقولهم : « دُومَة الجَنْدَل » لأنها مجتمعة مُستديرةٌ ، فهو تَهافُتٌ ؛ لأنهم ذكروا فى سبب تسميتها غيرَ ذلك ، فعن ابن الكلبى (٥) أنها سميت بِدُوماءَ بن إسماعيل ، وأنه لما كثر ولد إسماعيل عليه السلام بتهامة خرج دُوماءُ ابن إسماعيل حتى نزل ذلك الموضع وبنى به حِصنًا ، فقيل : دُوماءُ ، ونُسِبَ الحِصنُ إليه .

---

(١) اللسان (دوم) .

(٢) تهذيب اللغة ٢١١/١٤ .

(٣) الغريب المصنف ٤٨١ .

(٤) غريب الحديث ٢٢٤/١ ، ٢٢٥ والنهاية ١٤٢/٢.

(٥) معجم البلدان ٤٨٧/٢ .

وأما ابنُ السِّيدِ (١) ، فإنه احتجَّ على الأصمعى بالشاهدِ المذكور لذى الرمة ، وهو موطنُ مأخَذِ الأصمعى ، وبشاهدٍ آخرَ له أيضا ، وهو (٢) :

يُدَوِّمُ رَقْراقُ السَّرابِ بِرأسِهِ ... كما دَوَّمَتْ فى الخيط فَلْكَةُ مِغْزَلِ

وأما ماذهب إليه الفارسيُّ من أن التَّدْوِية فى السماء ، والتدويمَ فى الأرض على عكس ماذكر أبوعُبَيدٍ عن الأصمعى ، فهو من فَضْلِ عَقْلِهِ وحِدَّةِ ذكائِه ، وقد خالف بمذهبه هذا اللغويين جميعا ، ولم نجد له سَنَدًا يَعضّدَه ، ولو كان رأيَهُ وجهًا لما توانى أقربُ تلامِذَتِهِ إليه فى ذكره .

ولسنا نهدف من ذلك تحقيقَ مذهب الأصمعى تَعَصُّبًا ، ولكنا رأينا اللغويين سابِقَهُم ولاحقَهُم يكادُ الإجماع يَنْعَقِدُ بينهم على تَقديم رِواية الأصمعى ، وأن الحُجَجَ التى تَذَرَّع بها المعارضون مَدْخولةٌ ، ولا تعدو الاحتمالَ والتأويلَ .

واللغويون يثبتون الرأى الأول كأمر مُسلَّم به ، ثم يُعَقِّبون بذكر الثانى على سبيل التجويز ، فقد ذكر صاحب العين (٣) أن التَّدْويمَ : تحليقُ الطائرِ فى الهواء ودَورانُه وارتفاعه ، وتَدْويمُ الشَّمس : دَوَرانُها واستشهد ببيت ذى الرمة :

.... والشَّمْسُ حَيْرَى لَها بالجوِّ تَدْويمُ

ثم قال : ودَوَّمت الكلابُ ، أى : أَمْعَنَتْ فى طلبِ الصيدِ .

وذكر ابنُ دريد (٤) الرواية الأولى ، ثم قال : « وكان الأصمعى يُنكر بيت ذى الرمة .... ويقول : لا يكون التَّدويمَ إلا فى السماءِ ، وأَنكرَ ذلك عليه قوم من أهل العلم ، وقالوا : لِمَ سُمِّيَت الدَّوامَةَ ؟ .

---

(١) في الاقتضاب ١١٢/٢ .

(٢) ديوان ذى الرمة ١٤٩٣/٢ . ق ٥٠/٧١ .

(٣) العين ٨٦/٨ ، ٨٧ .

(٤) في جمهرة اللغة ٦٨٤ .

واقتصر فى مادة « دوى » على الرأى الأول ، ولم يعقب (١) .

وبعد أن ذكر الجوهرى (٢) الرواية الأولى قال : وكان بعضهم يصوب التدويم فى الأرض ، ويقول : منه اشتقت الدُّوَّامَة .... وهى فَلْكَةٌ يرميها الصبى بخيط فتدوم على الأرض ، أى : تدور ، وغيره يقول : إنما سميت الدوامة من قولهم : دَوَّمْتُ القدرَ : إذا سَكَّنْتَ غليانها بالماء ؛ لأنها من سرعة دورانها كأنها قد سكنت وهدأت .

وعلى هذا سائر المعجمات ، فتبين أن القول قول الأصمعى ، وأن الأفصح هو ماذكره ، وأن قول ذى الرمة ، وإن كان صحيحا ، فإنه لم يلتزم بالأفصح الذى التزم به أصحاب التنقية اللغوية بزعامة الأصمعى ، وأن هذا مبدأ أخذوا به أنفسهم ، وحاولوا تطبيقه على كل مخالف ، ولم يقصدوا إلى الطعن على شخص بعينه ، كما زعم ابن السيد من أن الأصمعى كان مولعا بالطعن على ذى الرمة .

. . . . .

---

(١) جمهرة اللغة ٢٣٣ .

(٢) الصحاح (دوم) .

بين جَمَدَ وجَمَسَ

جَمَدَ : يقالُ : جَمُد الماء يَجْمُدُ جمودا وجَمْداً ، وكذلك الدم وغيره : إذا قام ويَبِس ، وهو ضدُّ ذابَ . ويقال : لك جامِدُ هذا المال وذائبُه ، والذائب : الظاهر ، والجامد : الغائب الباطن (١) .

وقد يقال فى كل سائل : جَمَدَ ، فعن ابن السكيت (٢) : جَمَدَ الماء والسمن يَجْمُد جُمودا، .... ولكن أكثر مايستعمل فى الماء : جَمَدَ ، وفى السمن والودك : جَمَسَ .

جَمَسَ : يقال : جَمُسَ السمن يَجْمُسُ جَمْساً وجُموساً : إذا جَمَدَ ، وجُموسُه : جُموده (٣) .

وفى حديث ابن عمر (٤) رضى الله عنهما : أنه سُئِلَ عن فَأْرةٍ وقَعَتْ فى السَّمْنِ ، فقال : إن كان مائعاً فألقِهِ كُلَّه ، وإن كان جامِسًا فألق الفَأْرَةَ وماحولَها ، وكُلْ مابَقِىَ» .

وفى حديث ابن عُمَيْرٍ المدنى (٥) : « والله لَقُطْسٌ خُنسٌ بزُبْدٍ جُمْسٍ يغيبُ فيها الضِّرسُ أطيبُ من هذا » يصف تَمْرَ المدينة ، قال الخطابى (٦) : والجُمْسُ إن جعلته من نعت الزبد كان معناه الجامد .

---

(١) العين ٨٩/٦ وتهذيب اللغة ٦٧٧/١٠ والتاج (جمد) .

(٢) إصلاح المنطق ١٩٠ .

(٣) المحكم ٢٠١/٧ واللسان (جمس) .

(٤) الفائق ٣٩٧/٣ والنهاية ٢٩٤/١ .

(٥) غريب الحديث للخطابى ١٦١/١ والمجموع المغيث ٣٤٩/١ .

(٦) في غريب الحديث ١٦٥/١ وانظر النهاية ٢٩٤/١ .

وقد يقال : جَمُس الماء والسمن ، ولكن أكثر مايستعمل فى السمن والوَدَك : جَمُس ، قال صاحب العين (١) : « جَمُسَ الماء وجَمَدَ ، وجَمَسَت الإهالةُ » .

وهكذا ما عليه اللغويون ، وما فى المعجمات ، وكلهم يميل إلى تخصيص « جمد » بالماء ، و « جمس » بالسمن والوَدَك . مع جواز استعمال أحدهما موضع الآخر على قلة ، ولعل ذلك لكونهما بمعنًى واحدٍ ، وهو : الجمودُ واليُبْس .

وقد ورد فى شعرِ ذى الرمة استعمالُ « جمس » فى الماء ، قال (٢) :

نَغـارُ إذا مـا الرَّوْعُ أبْدى عن البُرَى   ونَقْرى سَديفَ الشَّحْم والماءُ جـامِسُ

والقصيدة سِينيَّة ، ولو كانت داليَّة لقال : « جامد » .

وقد سبق أن بينا مبدأ الأصمعى الذى لايحيد عنه فى الوقوف عند حد الأفصح سواء تجاه ذى الرمة أو تجاه غيره من الشعراء .

فقد نقل العلماء رده مثل هذا الاستعمال لقلته ، فذكر ابنُ دريد مبدأَهُ بعامةٍ ،قال (٣) : « وجَمَدَ الماءَ وغَيرُه جمودًا : إذا يَبِسَ ، فهو جامدٌ . وكان الأصمعي يقول : أكثر ماتستعملُ العربُ فى الماء « جمد » وفى السمن وغيره « جمس » .

ويقول فى موضع آخر (٤) : « وجَمَس السمن وجَمُس : يَبِس وجَمَدَ ، ولا يكادون يقولون ذلك للماء » ثم يقول : « وكان الأصمعى يعيب ذا الرمة فى قوله :

....   وَنَقْرِي سَديفَ الشَّحِمِ والماءُ جامِسُ

---

(١) ٦٠/٦ .

(٢) ديوانه ١١٤١/٢ ق ٤٩/٣٦ .

(٣) جمهرة اللغة ٤٥٠ .

(٤) السابق ٤٧٥ وانظر ص ١٢٤٩ تح بعلبكى .

فيقول : هذا غَلَطٌ . فعنده أن الجموَدَ للماء والجموسَ لِغيْرِه .

وقد رَوى هذا عن الأصمعى أبو حاتم (١) ، وذكره أبو الطيب اللغوى (٢) ، وصاحب الوَساطة (٣) ، وابن سيده (٤) ، وابن الشجرى (٥) ، وأبو هلال العسكرى (٦) ، وغيرهم ، وأغلبهم يذكره فيما عِيبَ على ذى الرمة ، وبَعضُهم يجيز قوله ويدفعُ إنكارَ الأصمعى ، وكل مايملك من قول هو : « وأجازَهُما غَيْرُه » كما ذكر أبو الطيب اللغوى ، وصاحب الوساطة .

والذين يتعلقون بالجواز يَتناسَوْنَ أن الأصمعىَّ صاحبُ لِواءِ الزعامة بين رُواةِ اللغةِ ، وأن قوله لم يُدْفع برواية أخرى ، وإنما بِلُغةٍ ثانيةٍ ، وأن الاستعمالَ فى الحديثين المذكورين ظاهرفى تأكيد صحة ماذهب إليه .

ثم إن قوله : « أكثر ماتستعمل العرب » وقوله : « ولايكادون يقولون ذلك للماء » صريح فى الدلالة على أنه يُقالُ على قِلَّةٍ فى الماء : جَمَسَ .

كما أنه من الواضح أن الذى حمل ذا الرمة على اختيار « جامس » هو القافية السينية ، ومثل هذا مشهور عند الشعراء جميعا ، فُحُولِهم وغيرِ فُحُولِهم ، فإنه يجوز فى الشعر مالا يجوز فى غيره .

---

(١) عن التاج (جمس) .

(٢) كتاب الإبدال ٣٧١ .

(٣) الوساطة بين المتنبي وخصومه ٤٦٧ .

(٤) المخصص ٥/ ٥٠ ، ٩/ ١١٩ ، ١٣/ ٢٨٧ والمحكم ٧/ ٢٠١ .

(٥) في الحماسة ٥٤ .

(٦) في الصناعتين ٢٥٠ .

ولا ينبغى أن نغفل عن اهتمام الأصمعى بشعر ذى الرمة ، فقد رواه عن شيخه أبى عَمْرِو بنِ العلاء ، وعنه رواه أبو نصر ، وأبو حاتم ، وكان مَدْعاةَ فخرٍ لابن دريد أن يَرْوِىَ شِعْرَهُ عن هذا السَّنَدِ العالى ، إذ يقولُ : « لَيْسَ فى الدُّنْيا مَنْ يَرْوِى شِعْرَ ذِى الرُّمةِ عن أبى حاتِمٍ عنِ الأَصْمَعِىِّ عن أبى عَمْرو بْنِ العَلاءِ غَيْرِى » (١) .

وعكف الأصمعى على دراسته وشرحه ، ونقده ، وروايته ، وعنه تناقله تلامذته ، وانتشرَ ذِكْرُه .

ومصنفاته مليئة بالشواهد من شعره ، وقلما تجد ذكرا لذى الرمة وشعره غير مقرون بذكر الأصمعى . ومن يطالع الديوان بشرحه يدرك أنه لولا الأصمعى لَما عُرِفَتْ دَقائقُ اللُّغَةِ ، وأَسْرارِ المعانى فى شِعْرِ ذِى الرمةِ .

وهو الذى قَرَّرَ أنه « مَنْ أَرادَ الغريبَ مِنَ الشِّعْرِ المُحْدَثِ فَفى أَشعارِ ذِى الرُّمَّةِ » .

إذن فالرجلُ أَكْثَرُ الناس معرفةً بِشِعْرِهِ ، وأَقْدَرُهُمْ علَى تَمْيِيزِ جَيِّدِهِ مِن رَديئِه .

وليس يجمل بمن بَيَّنَ جوانبَ الحسن أن يتكتم جوانب الضعف ، وهو الثقة الثبت ، والصيرفى الذى أنزلت أحكامه الشعراء منازلهم .

وهُوَ الذى صَحَّحَ على شيخِهِ أبِى عَمْرو بنِ العَلاءِ روايتَهُ « أَرْقَلَتْ » بالقاف ، فى قول ذى الرمة :

بَراهُنَّ تَفْويــــزى إذا الآلُ أَرْقَلَتْ ... بِهِ الشـــمسُ أُزْرَ الحَزْوَراتِ الفَوالِكِ

فقال الأصمعى : إنما هو « أَرْفَلَتْ » بالفاء ، ومعناه : أَسْبَغَتْ وغَطَّتْ ، وأنه يريد : أَسْبَغَتْ أُزْرَ الحزورات من الآل (٢) .

ونَظْرة فى معجمات اللغة تَبَيِّنُ أن الأصمعىَّ كان الثقةَ والحجةَ فيما يَذْهبُ إِلَيه .

---

(١) إنباه الرواه ٩٢/٣ وانظر مقدمة الديوان ٤١/١ .

(٢) الشعر والشعراء ٣٥٨ والديوان ١٧٤١/٣ ق ٦٨ / ٥٨ .

فقدَ نَبهاً

يقال : نبِّهه من الغَفْلة فانتبه ، وتنبَّه : أيقظه ، ونبهته على الشيىء : وقفته عليه فتنبه هو عليه ، وما نَبِهَ له نَبَهاً : مافَطِنَ (١) .

والنَّبَهُ يُفسَّر على أوجهٍ :

فقيل : هو الشيىء يُفْقد فلا يُدْرى متى ضل حتى يُنْتَبه له .

وقيل : هى الضالة توجد عن غير طلب غَفْلَةً ، يقال : وجدتها نَبَهاً عن غير طلب ، كما يقال : أضللتها نَبَهاً : لم تعلم متى ضل (٢) ، فهو على هذا من الأضداد ، قال ابن فارس (٣) : « وقولهم إن النبه من الأضداد ؛ يقال للضائع : نَبَهٌ ، وللموجود : نَبَهٌ ، فهو عندنا صحيح ؛ لأنه إذا ضاع انْتُبِه له ، وإذا وجد انْتُبِه له » وكذلك ذكر الصغانى (٤) أن النَّبَهَ : الحاضر الموجود ، والغائب المفقود .

وقيل : هو الشيىءُ المشهورُ .

وقيل : هو الشيىءُ المنسىُّ .

وقد ورد فى شعر ذى الرمة ، يصف ولد الظبية ، وقد رَوِىَ من لبن أمه ، فغلَبَه النعاس بالضحى ، فنام فى مكان تستره فيه عن الأبصار كثبانٌ مشرفة ، فشبهه فى هيئة نومه ولونه بسوار من فضة مفصوم فقد من عذارى الحى وهن يلعبن ، ولم يُنْتَبهْ له .قال (٥) :

كــأنه دُملُجٌ من فــضـــة نَبَهٌ ... فى مَلْعَب مِن عَذارى الحىِّ مَفْصومُ

---

(١) اللسان (نبه) .

(٢) العين ٥٩/٤ .

(٣) المقاييس ٣٨٤/٥ .

(٤) التكملة ٣٥٨/٦ .

(٥) ديوانه ٣٩١/١ ، ٣٩٢ ق ١٩/١٢ .

وهذا البيتُ ذُكِرَ فى معجمات اللغة شاهدًا على « النَّبَهِ » بالمعانى السابقه ، فقد أنشده صاحب العين (١) على معنى قولهم : أَضْلَلْتَ الشَّيْءَ نَبَهًا ، أى : لم يعلم متى ضل ، وتابعه على هذا الأزهرى ، وابن سيده (٢) .

وأنشده ابن دريد (٣) على معنى قولهم : شيىءٌ نَبَهٌ : إذا أُلقِيَ ونُسِيَ . وعليه أيضا ذكره الأزهرى بناء على تفسير شمر للنَّبَهِ بأنه : الشىءُ المنسيّ المُلْقى السّاقط الضال .

وأنشده الجوهرى (٤) على معنى قولهم : شيىء نَبَهٌ ونَبِهٌ ، أى : مشهور ، وذكر الوجه الذى ذكره صاحب العين .

واعتبره ابن برى شاهداً فريدًا على معنى الشيىء المشهور (٥) .

وقال شارح الديوان (٦) : « نَبَهٌ : منسى انتبهوا له انتباها ، لايدرون أى موضع افتقدوه ، وقال الأصمعى : إنما أراد : ضَلوه نَبَهًا ، أى : نَسَوْهُ ، لايدرون متى هلك حتى انتبهوا له ، يقال : فَقدوا متاعَهم نَبَهاً ، قال : وسمعت من ثقة : قد أَنْبَهْتُ حاجتى ، أى : نَسِيتها ، ويقال للقوم إذا ذهب لهم الشيىء لايدرون متى ذهب : قد أَنْبَهُوه . قال : وبئسما قال ذو الرمة ؛ لأنه وضعه فى غير موضعه ؛ كان ينبغى أن يقول : كأنه دملج فقد نَبَهاً » .

ونلاحظ أن كلمة « النَّبَه » من الكلمات المتميزة باستعملات ذات دلالات خاصة فى اللغة ، فهى بمادتها تدل على التيقظ والتذكر بعد الغفلة ، وهذا يتلاءم مع معنى وجود الشيىء ماثلا عن غير طلب ، وهو بنفس الصيغة يدل على فقدان الشيىء وغيابه عن غير علم بمكان وزمان فقده ، ومن ثم فقد وضعها اللغويون فى ألفاظ الأضداد .

---

(١) ٥٩/٤ .

(٢) تهذيب اللغة ٣٢٧/٦ والمخصص ٧٣/١٣ .

(٣) جمهرة اللغة ٣٨٢ .

(٤) الصحاح (نبه) .

(٥) اللسان (نبه) .

(٦) ٣٩١/١ .

والاستعمالات التي وردت بها هذه الكلمة تؤول إلى وصف الحالة التي عليها الشيىء ، فهو فى قولهم : « شيىء نَبَهٌ » و « دُمْلج نَبَهٌ » صفة للشيىء على معنى أنه مما فقد نَبَهاً ، أو وجد نَبَهاً .

وهو فى قولهم : « وَجَدْتُه نَبَهاً » و « أضللته نَبَهاً » صريح فى هذا المعنى ، وكذلك هو فى قولهم : « أنْبَهْتُ حاجتى » أى : نسيتها ، وقولهم للقوم يذهب لهم الشيىء لايدرون متى ذهب : قد أنْبَهوه ، يعنى : فقدوه نبها .

ولاشك فى أن ذا الرمة يقصد إلى هذا المعنى فى وصفه الدُّمْلُجَ بالنَّبَهِ ؛ لأن الدملج مما يفقد بأن يَسقُط غَفْلَةً ، وليس مما يُترك أويُلْقَى فى مكان عمدا فيُنْسى ، وفقده على هذا النحو يعنى الغفلة عنه ونسيانه فترة إلى حين التنبه له ، أو العثور عليه فجأة من غير تفقدله ، وهذه حالة مؤقتة ، وليست بلازمة ؛ لأنه لن يَلْبَث حتى يُعْثَر عليه ، ومن ثم فإن التعبير بالحال أدق دلالة من التعبير بالصفة هنا .

ولذلك قال الأصمعى : « إنما أراد ضلوه نَبَهاً » وعاب عليه وضعه على الصفة ؛ لأنه ليس موضعه ، وإنما موضعه النصب على الحال ، « فكان ينبغى أن يقول : كأنه دُمْلَجٌ فُقِدَ نَبَهًا » .

وأما تفسيره بالشيىء المشهور ، فإن قَبولَه مرتهن بجزئيات الصورة المشبَّه بها ، ومعنى الشهرة ههنا متحقق فى وصف الدملج بكونه « من فضة » فهو أبيض لامع ، وليس لمعنى الشهرة فى قوله « نَبَهٌ » كبير أثر فى الصورة ؛ فإن المقصود الأهم هو إثبات معنى « فُقِدَ نَبَهًا » .

غير أن تأليف هذا فى التركيب هو الذى اضطر ذا الرمة إلى هذا التعبير ، وهو الذى

حمل اللغويين على تخريج هذا التعبير ، فقد ذكر الأزهرى (١) كلام الأصمعى ، ثم قال: وقال غيره : النَّبَهُ : الضاله التى لايُدْرَى متى ضلَّتْ ، وأينَ هِىَ ، وقال شَمِرٌ : النَّبَهُ : المنسىُّ الملْقى الساقط الضال .

وتردد الجوهرى (٢) فذكر معنى كلام الأصمعى بعد ذكر معنى الشهرة .

وكان فى تلقف ابن برى (٣) لهذا الشاهد على معنى الشيىء المشهور دليل على ندرته ، ولم أعثر على شاهد آخر يعضد هذا النحو من قول ذى الرمة ، فلذلك ، فقد ثبت أن القول ماقالت حزام .

. . . . .

(١) تهذيب اللغة ٣٢٦/٦ ، ٣٢٧ .

(٢) الصحاح (نبه) .

(٣) اللسان (نبه) .

غَميمُ النَّسا

النَّسا فى الخيلِ والإبل : عِرْقٌ يخرج من الورِك فيستبطن الفخذ ، ثم يجرى فى الساق فينحرف عن الكعب ، ثم يجرى فى الوظيف حتى يبلغ الحافر أو الخف .

فإذا سمنت الدابة انفلقت فخذاها بلحمتين عظيمتين ، وجرى النسا بينهما واستبان ، فمن ثم يقال : مُنْشَق النَّسا ، وشقيق النَّسا .

وإنما يراد بقولهم « منشق النسا » : منشق موضع النسا ، وذلك مثل قولهم : شديد الأخدع ، يريدون : شديد موضع الأخدع ، وهو عرق في العنق ، ومثل ذلك : شديد الأبهر ، أى : شديد موضع الأبهر ، وهو عرق فى الظهر (١) .

وعلى هذا قول أبى ذؤيب الهذلى (٢) :

مُتَفَلِّقٌ أَنْساؤُها عَنْ قانِيءٍ   كالقُرْطِ صاوٍ غُبْرُهُ لا يُرْضَعُ

وإذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان ، وماجت الرَّبَلَتان ، وهما اللحمتان اللتان فى باطن الفخذين ، وخَفِيَ النَّسا .

ويستحب فى الخيل والإبل تقبضُ أو انْشِناج النَّسا وقصره ؛ لأنه إذا انْشَنَج النسا كان أشد لوقع الرجل ، وإذا كان طويلا استرخت الرجل . ويقال للفرس : إنه لشَنِجُ النسا ، وإنه لقصير النسا ، يراد بذلك النسا بعينه ، قال امرؤ القيس (٣) :

سَلِيم الشَّظا عَبْلِ الشَّوَى شَنِجِ النَّسا   له حَجَباتٌ مُشْرِفات على الفَالِ

---

(١) كتاب الخيل للأصمعى ١٩٤ مجلة المورد ع٤ م١٢/١٩٨٣م والكنز اللغوى ٢٢٤ ، ٢٢٨ واللسان (نسا) .

(٢) ديوان الهذليين ١٦ .

(٣) ديوانه ٣٦ .

وورد في شعر ذى الرمة يصف بعيرا (١) .

غَمِيُم النَّسا إلا على عَظْمِ ساقِهِ   مُشَرَّفُ أطْرَافِ القَرا مُتَمَاحِلُهْ

يعنى أن النسا غامضٌ غيرُ ظاهرٍ فى الفَخِذِ ، وهو ظاهرٌ مستبينٌ على عظم الساق .

ومُشَرَّفُ أَطْرافِ القَرا ، أى : فَقاره ليس بأملس وإنما هو مُشْرِفُ أعالى العظام ومُتماحلُه ، أى : طويل الخَلْق ، من قولهم : رجل مُتَمَاحِلٌ : إذا كان طويلا (٢) .

ومن ثم قال الأصمعى : لم يُحْسن الصِّفَةَ ، والبَعيرُ إذا سَمِنَ أو الفَرَسُ تَفَلَّقَتِ اللَّحْمتان عن النسا حتى يَسْتَبين ، أو تَنْفَرِجَ عن النسا فَيستَبين ، قال أبو ذؤيب :

مُتَفَلِّقٌ أَنْسَاؤُها ....

ولو روى « عَمِيم » بالعين ، لرأَيْتَهُ جَيِّدًا ، أى : غليظٌ ظاهرٌ (٣) .

. . . . .

(١) ديوانه ٢/١٢٥٤ ق ٤١/٢١ .

(٢) شرح الديوان ٢/١٢٥٤ ، واللسان (محل) .

(٣) شرح الديوان ١/١٢٥٤ ، ١٢٥٥ .

د ـ فى المستوى التركيبى

« ماتنفك »

يلزم النفىُ بعضَ الأفعال التى تفيد معنى النفى ليحوله إلى معنى الإيجاب ، وذلك نحو زال ، وفتىء ، وبرح وانفك ، فهى تدل على عدم الثبات ، فإذا دخل عليها النفى حول المعنى إلى الثبات ، فصارت بهذا التركيب تفيد الإيجاب ، قال تعالى ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ ﴾ (١) وقال : ﴿ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّماَ جَاءكُم بِهِ ﴾ (٢) .

وهى بهذا التركيب تدخل علي المبتدأ والخبر ، فترفع الأول وتنصب الثانى ، فأشبهت كان فى إفادة معنى الإيجاب ، واستمرارِ الفعل بفاعله فيما مضى من الزمان .

والإيجاب على هذا النحو يفيد عموم النفى جميع ذلك الزمان ، وأما الإيجاب بطريق الإثبات فلا يلزم فيه ذلك العموم ، فقولك : ضُرِبَ زَيدٌ ، غير قولك : ماضُرِبَ من حيث الاستغراق وعدمه ، ومن ثم فإن نفى النفى إثبات دائم (٣) .

ولذلك فإن خبرها لا يقترن بإلا ؛ لأن الاستثناء المفرغ لايكون فى الموجب إلا فى الفضلات ، وخبرها عمدة ، فلا يجوز القول : مازال زيد إلا عالما ؛ لاستحالة استمرار زيد على جميع الصفات إلا العلم (٤) .

وقد ورد فى شعر ذى الرمة (٥) :

حَراجِيجَ مـــــاتَنْفَكُّ إلا مُناخَةً على الخَسْفِ أو نَرْمى بِها بَلَداً قَفْرا

---

(١) سورة الأنبياء آية ١٥ .

(٢) سورة غافر آية ٣٤ .

(٣) ينظر شرح الكافية ٢٩١/٢ وشرح المفصل ١٠٦/٧ ، ١٠٧ والمغنى ١٠١ ، ١٠٢ تح مازن المبارك ، وحمد الله ، والنكت ٧٢١ .

(٤) شرح الكافية ٢٩١/٢ .

(٥) ديوانه ١٤١٩/٣ق ١٧/٤٩ .

والحراجيجُ : جمع حُرْجوج ، وهى : الناقة الجسيمة الطويلة الضامرة . والخَسْفُ : أن تَبيتَ على غير عَلَفٍ جائعةً (١) .

فأدخل إلا على الخبر ، وإلا معناها الإيجابُ ، ولايدخل إيجابٌ على إيجابٍ ، وقد أثبت استقراءُ الكوفيين والبصريين أن إلا لا تتصل بخبر « مازال » و « مانفك » فقد قال الصولي (٢) : « سَمعتُ أحمدَ بْنَ يحْيَى يقول : لايدخل مع « ماينفك » و « مايزال » إلا ؛ لأَن « ما » مع هذه الحروف خبرٌ وليست بِجَحْدٍ » .

وقال الفراء (٣) : « فإذا كانَتْ علَى جِهَةِ يَزالُ فلابدَّ لها من فِعْلٍ ، وأن يكون معها جَحْدٌ ، فتقول : ماانْفكَكْتُ أذكُرُكَ ، تريد : مازلتُ أَذْكُرُكَ .... لأنك لاتقول : مازِلْت إلا قائمًا » .

ولذلك حَمَلَ أَكْثرُ النحويين قولَ ذى الرمة على الخطأ ، ووضعَهُ بَعْضُهم فى باب الضرورة ، وحاول بعضهم تَخْرِيجَهُ على نحوٍ صَحيحٍ .

ولَم يَفُتِ الأَصْمَعِيّ أَن يَتَنَبّهَ إلى ذلك ، بخاصةٍ وهو من أكثرِ الناسِ عِنايةً برواية شعرِه وشَرْحِه ، فقد حكَى المرزبانى (٤) عن محمد بن يحيى ، قال : حدثنا الفضل بن الحُبابِ ، قال حدثنا بكر بن محمد المازنى ، قال : حدثنا الأصمعى ، قال : سمعت أبا عَمْرو بنَ العَلاءِ يقولُ : أخْطأَ ذو الرمة فى قوله :

حَراجيجَ ماتَنْفك إلا مُناخةً ... على الخَسْفِ أو نَرمى بها بَلَداً قَفْرا

---

(١) شرح الديوان ١٤١٩/٣ والنكت ٧٢١ واللسان (حرجج) .

(٢) الموشح ٢٨٧ .

(٣) معاني القرآن ٢٨١/٣ .

(٤) في الموشح ٢٨٦ .

فى إِدْخالِهِ « إِلَّا » بعدَ قوله : « ماتَنْفَك » .

وعن الصُّولى ، قال : حدثنا الطَّيِّبُ بنُ محمد ، قال : حدثنا أحمدُ بنُ سعيدٍ ، قال : سمعتُ الأصمعيَّ يقول : أخطأَ ذو الرمة فى قوله :

قلائصَ ماتَنْفك.......... ....

وقولُه : « ما » جَحْدٌ ، و « إلا » تَحقيقٌ ، فكيف يجتمعان ؟

ولم يتوقف أمرُ تخطئة ذى الرمة عند أبى عَمْرو والأصمعى ، وإنما خَطّأهُ إسحاقُ الموصِلىُّ ، وثعلب والجرمى ، والمازنى ، وابن جنى ، وأكثر النحاة ، وكلهم يصدر عن شيخ اللغويين أبى عمرو وتلميذِه الأصمعى .

وحاول بعضهم تَلَمُّسَ وَجْهٍ لتصويبِ قوله « إلا مناخةً » ، فقال هو : « آلاً » وحمل الخطأَ على غَلَطِ الرواة فى النقل (١) .

ولكن صرح بعضهم بأن الخطأَ خطأُ ذى الرمة ، وإنما يرويه هو « آلاً » على الوجه الصحيح ، فقد روى الصولى قال (٢) : حدثنى محمد بن سعيد الأصم ، وأحمد ابن يزيد ، قالا : حدثنا يزيد المهلبى عن إسحاق الموصلى أنه كان ينشد هذا البيت لذى الرمة :

حَراجيجَ ماتَنْفَكُّ آلاً مناخةً ....

والآل : الشخص ، ويقول : نَحْتالُ لصوابه ، ونحتج بِبَيْتِهِ الذى ذكر فيه الآل فى غير هذه القصيدة ، وهى قوله :

فلم تَهْبِطْ على سَفْوَانَ حتى طَرَحْنَ سِخَالَهن وصِرْنَ آلا

---

(١) تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد ٢٢٤ والخزانة ٤/ ٥٠ .

(٢) الموشح ٢٨٦ .

ولما تنبه ذو الرمة لخطئه أنكره ، وغير « إلاَّ » إلى « آلاً » فقد ذكر ابن عصفور (١) « أن ذا الرمة لما عيب عليه قوله (ماتنفك إلا مناخة) فطن له ، فقال : إنما قلت (آلاً مناخة) أي : شخصا » وذكره ابن هشام أيضا (٢) .

فهذا تصريح من ذى الرمة يقطع حجة من يحاول ركوب العسف فى توجيه قوله : « إلا مناخةً » وقد حاول ذلك كثيرون بتأويلات مختلفة ، منها :

- أن « انْفَكَّ » تامة ، وتكون بمعنى : انْفَصَلَ منه ، كما يقال : فَكَكْتُ الغُلَّ عنه فانْفَكَّ منه ، قالوا ويجوز دخول الاستثناء فى هذا الوجه ، تقول : ماانفك زيدٌ إلا بعد شِدَّة ، فيكون التقدير : لا تنفك من الشدة والسير إلا مناخة على الخسف ، كما تقول : ماانفصل زيد من الشيىء إلا مجهودا (٣) .

قال الفراء (٤) فى توجيه قوله تعالى ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ (٥) : « فإذا كانت على غير معنى «يزال» قلت : قد انفككت منك ، وانفك الشيىءُ مِن الشيءِ ، فيكون بلا جحد ، وبلا فعل ، وقد قال ذو الرمة :

قَلائِصَ لا تَنْفَك ....

فلم يُدْخِل فيها « إلا » إلا وهو ينوى بها التَّمامَ ، وخلافَ « يزال » .

---

(١) في ضرائر الشعر ٧٦ .

(٢) تخليص الشواهد ٢٢٤ .

(٣) انظر النكت ٧٢٢ .

(٤) معاني القرآن ٣/٢٨١ .

(٥) سورة البينة آية ١ .

وهذا أحسن ماقيل فيه من توجيه ؛ لأن « تنفك » ليست عليه بمعنى النفى . وتكون مناخة حال ، وعلى الخسف متعلق بمناخة ، و « نرمى » معطوف على مناخة ، كما فى قوله تعالى : ﴿ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ﴾ (١) .

وقد تعلق بهذا التوجيه كثير من النحاة ، منهم ابن الشجرى (٢) ، والسيوطى (٣) ، واستحسنه ابن هشام (٤) ، وقال : « وهذا أجود ماقيل ؛ لأن الكلام مع التامة نفى لا إيجاب » .

- ومنها : أن « إلاّ » زائدة ، وحينئذ لا يكون من الاستثناء فى شيىء . وقد نسب هذا إلى الأصمعى ، والمازنى ، والفارسى ، وابن جنى ، وابن مالك ، فقد ذكر السمين (٥) : « وإن كان الأصمعى قد قال بزيادة « إلا » فى قوله :

حراجيج................ ....

فقد رد عليه الناس ، ولم يقبلوا قوله

وذكر ابن يعيش (٦) أن المازنى قال : إن إلا فيه زائدة ، وأن المراد : ماتنفك مناخة .

ونقلوا عن الفارسى فى القصريات قوله : إلا ههنا زائدة ، لولا ذلك لم يجز هذا البيت ؛ لأن تنفك فى معنى تزال ، ولا يزال لايتكلم به إلا منفيا (٧) .

---

(١) سورة الملك آية ١٩ وانظر شرح الكافية ٢٩٦/٢ والمغنى ١٠٢ وتخليص الشواهد ٢٢٤ وشرح المفصل ١٠٧/٧ والخزانة ٥٠/٤ .

(٢) الأمالى ١٢٤/٢ .

(٣) الهمع ١٢٠/١ .

(٤) تخليص الشواهد ٢٢٥ .

(٥) الدر المصون ٢٣٣/٢ ، ٢٣٤ .

(٦) شرح المفصل ١٠٧/٧ .

(٧) حاشية شرح المفصل ١٠٧/٧ .

وفى قراءة ابن مسعود ، والأعمش : ﴿ إِن كُلٌّ إِلاَّ لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ ﴾ (١) يقول ابن جنى (٢) : إلا زائدة وقد جاء عنهم ذلك .... وعلى ذلك أيضا تأولوا قول ذى الرمة :

حراجيج ماتنفك إلا مناخة ....

أى : ماتنفك مناخة ، وإلا زائدة .

وذكر ابن هشام (٣) أيضا فى « إلا » أنها تكون زائدة ، وأن الأصمعى ، وابن جنى قالا بذلك ، وحملا عليه قول ذى الرمة السابق .

وقد ردوا هذا المذهب بأنه لم يثبت على نحو مؤكد زيادة « إلا » وكان ابن مالك يرى زيادتها (٤) ، متابعة للمازنى ، وابن جنى (٥) ، فى قول الشاعر :

أَرَى الدَّهْرَ إِلاَّ مَنْجَنوناً بِأَهلِهَ وما صاحِبُ الحاجاتِ ال مُعَذَّبَا

فردوه بأن المحفوظ « وما الدهرُ » وقال ابن هشام (٦) : ثم إن صحت روايته ، فَتُخَرَّجُ على أن « أرى » جواب لقسم مقدر ، وحذفت « لا » كحذفها فى ﴿ تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾ (٧) ودل على ذلك الاستثناء المفرغ .

- ومنها : أن قوله : « على الخسف » خبر « تنفك » و « إلا مناخة » استثناء مقدم ، كأنه قال : لاتنفك مجهودة إلا فى حال إناختها ، فإنها تستريح إذا أنيخت .

---

(١) سورة هود آية ١١١ .

(٢) المحتسب ٣٢٨/١ ، ٣٢٩ .

(٣) المغنى ١٠١ ، ١٠٢ .

(٤) انظر المساعد على تسهيل الفوائد ٥٤٩/١ .

(٥) المحتسب ٣٢٨/١ .

(٦) فى المغنى ١٠٢ وتخليص الشواهد ٢٢٥ .

(٧) سورة يوسف آية ٨٥ .

ونُسِبَ هذا التوجيهُ إلى الأخفش ، والزجاج ، والفارسى ، وابن عصفور ، وابن مالك ، ويقال إنه روى أيضا عن الفراء (١) .

وقد ضُعِّفَ هذا المذهب بوجوه ، على مايلى :

أنه لايخلو أن يكون العامل فى الحال « ماتنفك » أو « على الخسف » .

فإذا كان الأول : مَنَعَ منه ماتقرر من أن الاستثناء المفرغ قلما يأتى فى المثبت ، حتى وإن كان الحال فضلة هنا .

والبصريون لايجيزون أن يعمل ماقبل « إلا » فيما بعد المستثنى إلا فى تابعه ، أو فى المستثنى منه .

وإن كان العامل « على الخسف » مَنَعَ منه : قلة الاستثناء المفرغ فى المثبت ، وأن العامل فى الحال سيكون الظرف المتأخر عنه ، وهذا لم يجزه سيبويه ، وأن المستثنى سيكون مقدما على عامله فى المفرغ وهذا أيضا مما لايجيزه البصريون (٢) .

وقد أجمل هذا ابن هشام فى قوله : « المانع من الاستثناء المفرغ فى الخبر مانع منه فى الحال » (٣) .

- ومنها : أن ذا الرمة راعى اللفظ ؛ لأنه منفى ، ولم ينظر إلى المعنى ، فأدخل « إلا » لذلك ، نحو قوله تعالى ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ (٤) فأدخل الباء فى الخبر ؛ لوجود لفظ النفى ؛ لأن الباء تزاد لتأكيد النفى ، والمعنى فيها على الإيجاب (٥) .

---

(١) ينظر شرح الكافية ٢٩٦/٢ والنكت ٧٢٢ والمغنى ١٠٢ وتخليص الشواهد ٢٢٥ والخزانة ٥١/٤ .

(٢) انظر شرح الكافية ٢٩٦/٢ .

(٣) تخليص الشواهد ٢٢٥ وشرح المفصل ١٠٧/٧

(٤) سورة القيامة آية ٤٠ .

(٥) انظر التبصرة والتذكرة ١٨٩/١ ، ١٩٠ .

وهكذا فقد ذهب العلماء مذاهب شتى فى محاولة تخريج بيت ذى الرمة بسبب مخالفته الظاهرة لأنظمة التراكيب فى العربية .

ولولا مكانة ذى الرمة لما خاض العلماء فى تلمس المخارج لقوله ، مع تصريح الأئمة ، واعتراف ذى الرمة نفسه حين نُبِّه إلى الخطأ ، ففطن له ، وقال : إنما : « إنما قلت : آلاً » (١) ولذلك حمله بعضهم على غلط الرواة (٢) ، وهو بعيد عن وجه الصواب ؛ لأن الذى روى الديوان من فَلْقِ فِي ذِي الرمة هو أبو عمرو بن العلاء الذى يرجع إليه الفضل فى تنبيه ذى الرمة إلى جملة من أخطائه ، ومن بينها هذا الخطأ الذى نقله عنه الأصمعى ، وعنه تناقله أصحابه وتلامذته ، كالجرمى ، والمازنى ، وغيرهما .

ومقوله إسحاق الموصلى صريحة فى تأكيد الخطأ ، والتحايل فى تصويبه ، إذ كان ينشد هذا البيت « آلاً مناخة » ويقول : نحتال لصوابه ، ونحتج ببيته الذى ذكر فيه « الآل » فى غير هذه القصيدة (٣) .

كما نلاحظ أن لفظ الخطأ كان موجها بشكل صريح وبالإجماع من كل الذين آخذوا ذا الرمة فى قوله ، فإن أبا عمرو يقول : أخطأ ذو الرمة ، والأصمعى والجرمى (٤) يقولان : أخطأ ذو الرمة . وهذا التصريح يدل على التثبت من الحكم ، فلا معنى بعد ذلك للتمحل والتعسف الذى تكلفه بعضهم ، إما من قبيل الترف العقلى وإبراز القدرة على التوجيه والتخريج ، وإما على سبيل التعصب ضد الأصمعى الذى مانقل غير الحقيقة ، وماتوقف إلا عند حد الصحيح .

---

(١) ضرائر الشعر ٧٦ وتخليص الشواهد ٢٢٤ .

(٢) خزانة الأدب ٤/٤٩ وتخليص الشواهد ٢٢٤ .

(٣) الموشح ٢٨٦ .

(٤) شرح المفصل ٧/١٠٧ .

وقد رأينا حملة لواء الدفاع عن القريض يلحون باللائمة على ذى الرمة ؛ لأنه أفسد البيت بإدخاله « إلا » على « مناخة » ، يقول المظفر بن الفضل العلوى (١) : وينبغى للشاعر ألا يستعمل لفظة لإقامة وزن بيت ، وهى مفسدة بمعناها له ، وإذا حكم عليه البيت بذلك ، فالأولى إسقاطه ، ألا ترى ذا الرمة وقوله :

حراجيج ماتنفك إلا مناخة ....

كيف أدخل « إلا » بعد « ماتنفك » لإقامة وزن البيت فأفسده ؛ لأن « مايزال » و « ماينفك » فى كلامهم جحد ، و « إلا » تحقيق » فكيف يجتمعان ؟ ولهذا لو قلت : مازال زيد إلا قائما لم يجز .

وهكذا أوجب علينا الأصمعى الإذعان لمذهبه ، والإقرار بفضله ، وأنه عندما يقول ينبغى أن ينصت إليه .

---

(١) فى نضرة الإغريض فى نصرة القريض ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

إِيهٍ - إِيهِ

إِيهٍ : اسم يدل على فعله ، ويأخذ حكمه فى البناء على السكون ، غير أنه لما التقى فيه ساكنان حرك آخره ، وجعلت الحركة بالكسر ؛ لئلا يلتبس بنظيره « إِيهًا » فثمة فرق بينهما فى الاستعمال والدلالة ، فإن « إِيهٍ » تستعمله العرب لطلب الاستزادة من الفعل ، و « إِيهًا » للانكفاف دوقد وردت « إِيهٍ » فى كلام العرب لازمة ، فلا يَكاد يُقال : إِيهِ الوهكذا فقد ذهب العلماء مذاهب شتى فى محاولة تخريج بيت ذى الرمة بسبب مخالفته

حديثَ ، رغم أن القياس يجيزه ، بل يقتضيه ؛ لأنها بمعنى حَدِّثْ أو زِدْنى من الحديث ، وهما متعديان ، لكن المعول على السماع لا على القياس .

كما ورد الاستعمال بها مكسورة منونة كثيرا ، ومكسورة غير منونة قليلا . وقد فرق العلماء بين الصورتين فى الدلالة اعتبارا بالتنوين ، وعدمه ؛ فإن التنوين علامة التنكير ، ومن ثم فإن المنونة تطلب نكرة ، وغير المنونة تطلب معرفة ، فيقال : إِيهٍ ، أى : هات حديثا ، وهذا هو المشهور فيما ورد عن العرب . ويقال : إِيهِ ، أى : هات الحديث ، وهذا قليل (١) .

والعلماء متفقون على قلة الصورة الثانية ، ومختلفون فى القياس عليها ، فمنهم من يقف عند حد الفصيح ، فيلزم « إِيهٍ » التنكير أو التنوين ، ومنهم من يجيز فيها التعريف أو عدم التنوين .

والذين يجيزون التعريف يحتجون بما ورد فى شعر ذى الرمة ، وهو قوله (٢) :

خَليلَىَّ عُوجَا عَوْجَةً نَاقَتَيْكُمَا ... عَلَى طَلَلٍ بَيْنَ القِلاتِ وشَارِعِ

وَقَفْنا فَقُلْنا : إِيهِ عن أُمِّ سَالِمٍ ... ومَا بَالُ تَكْلِيمِ الدِّيارِ البَلاقِعِ

---

(١) انظر في هذا شرح المفصل ٣١/٤ ، ٧١ وشرح الكافية للرضى ٧١/٢ والمساعد على تسهيل الفوائد ٦٤٨/٢ ، والمخصص ٨١/١٤ .

(٢) ديوانه ٧٧٧/٢ ق ٣٠١/٢٥ .

فقال : « إِيهِ » وكسر الهاء دون تنوين ، وهذا يعنى ـ على تفسير المجيزين ـ أنها تطلب معرفة ، فكأنه يريد : هات الحديث عن أم سالم .

غير أن الأصمعى اعترض هذا الاستعمال ، فقال (١) : أساء فى قوله « إِيهِ » بلا تنوين ، كان ينبغى أن يقول : إيهٍ عن أم سالم ، فإذا كان نهيا قلت : إيها ، أى : كُفَّ ، فإن زجرت قلت : وَيْهًا ياهذا ، فإن استَطَبْتَ الشيىء قلت : وَاهًا لـه ، كما قال أبو النجم :

وَاهًا لِرَيَّا ثم وَاهًا وَاهَا

وقد عارض بعضهم الأصمعى ، فقال (٢) : أما هذا فالأصمعى مخطىء فيه ، وذو الرمة مصيب ، والعجيب أن يعقوب بن السكيت قد وقع عليه هذا السهو .... وكذلك : إِيهِ يارجل ، تريد : الحديث ، وإيهٍ ، تريد حديثا . وزعم الأصمعى أن ذا الرمة أخطأ فى قوله ، وكان يجب أن ينونه ، وهذا من أوابد الأصمعى .

وقال آخر (٣) : فإذا نونت فكأنك قلت فى « إِيهٍ » : استزادةً ، وإذا قلت : « إِيهِ » فكأنك قلت : الاستزادةَ ، فصار التنوين علم التنكير ، وتركه علم التعريف ، قال ذو الرمة :

وقفنا فقلنا إِيهِ ....

فكأنه قال : الاستزادة ، وأما من أنكر هذا البيت على ذى الرمة ، فإنما خفى عليه هذا الموضع .

---

(١) انظر المراجع فى الصفحة السابقة وشرح الديوان ٢/٧٧٧ .

(٢) انظر خزانة الأدب ٣/١٩ .

(٣) سر الصناعة ٤٩٤ .

وذكر بعضهم (١) أن النحويين البصريين صوبوا ذا الرمة ، وقسموا «إيهٍ» إلى قسمين ، معرفة ونكرة .... وقال : التنوين ساكن ، فتكسر له الهاء ، وإذا كان استزادة مُعَرَّفًا زال التنوين ، فبقى الحرف الأخير ساكنا ، فالتقى ساكنان فى آخره ، فكسر الأخير منهما لالتقاء الساكنين .

وزعم بعضهم (٢) أن جميع النحويين صوبوا قول ذى الرمة ، وقسموا إيه على ضربين .... وعلى العكس من ذلك نرى غيرهم يصرح بصحة موقف الأصمعى ، فيقول الشنتمرى (٣) : وقوم من النحويين أنكروا قول الأصمعى ، وصوبوا قول ذى الرمة ، فقالوا : أتى به معرفة ، كما تقول : غاقِ غاقِ . وقد أصاب الأصمعى فى ذلك ؛ لأنه أراد أن العرب لم تستعمل «إيهٍ » إلا منكرا ، فلايجوز استعماله على غير ذلك ، كما لايجوز ترك التنوين فى « وَيْهًا » و « إيهًا » وإنما يجعل هذا من ذى الرمة على الضرورة ، لما اضطر تأوله معرفة »

ونرى بعضهم يحاول التوفيق بين المذهبين ، حاملا كلام الأصمعى على الصحة من حيث الاستعمال ، وكلام المعارضين له على الصحة من حيث القياس ، فيقول (٤) بعد أن استعرض المذهبين : والقول فيه : أن الأصمعى أنكره من جهة الاستعمال ، والنحويون أجازوه قياسا ، ولاخلاف بينهم فى قلة استعماله .

ونحن بين مذهبين متعارضين ، وكل مايشغلنا هو البحث عن الحقيقة مجردة عن التعصب لمذهب معين مهما كان صاحبه .

---

(١) المخصص ٨١/١٤ .

(٢) ابن يعيش فى شرح المفصل ٣١/٤ .

(٣) النكت ٨٦٦ ، ٨٦٧ .

(٤) ابن يعيش في شرح المفصل ٧١/٤ .

والوسيلة الوحيدة للوقوف على تلك الحقيقة هى تتبع المنقول عن العرب ، وعرض المرويات بعضها على بعض ، وكشف ماخفى من جوانب هذه الروايات .

ومن المسلم به أن الأصمعى من كبار رواة اللغة ، وثقات النَّقَلَة ، وأن ذا الرمة فصيح ، ولشعره أثر كبير فى تحقيق المرويات اللغوية عن العرب .

ومن المسلمات أيضا أن رواة اللغة قد تحقق روايةُ بعضهم روايةَ بعض ، وقد تعارضها ، وذلك لاستحالة إلمام راوٍ واحد بجميع ماورد عن العرب ، وإن كان من المقرر تفاوت مقدرة كل راوٍ من حيث التحصيل ، والتوثيق .

كما أنه من المسلم أن نسيج الشعر - مهما كان مطبوعا - يحتمل مالا يحتمله نسيج النثر .

وقد وردت لنا روايات متفاوتة عن رواة كبار مختلفين فى مذاهبهم ، فمنهم من هو بصرى ، ومنهم من هو كوفى ، ومنهم من هو تابع لأحد الفريقين ، ولا شأن لنا بالتابع ؛ لأنه فَضْلَة ، وإن كان لاغنى عنه فى التوجيه .

فمن البصريين : يونس بن حبيب ، روى عنه قطرب (١) قوله : إِيهِ وهِيهِ فى الاستزادة إذا وقفوا عليه ، وقال ذو الرمة :

وَقَفْنا فَقُلْنا إِيهِ عن أم سـالم ....

قال : فجر بغير نون (أى بغير تنوين) وقد ينون أيضا .

فقوله : « إذا وقفوا عليه » تصريح بأن الكسر من غير تنوين مقيد بحالة الوقف ، وأنه قد ينون فيها أيضا .

---

(١) كتاب الفرق ١٦٨ .

وقد تعلق بهذا ثعلبٌ من الكوفيين ، فقال (١) : « العرب تقول : إيهٍ بمعنى حدثنا ، وإيهًا : كف ، وواهًا : تعجبا ، وويْهاً : إغْراءٌ ، وأما قول ذي الرمة :

وقـفنا فـقلنا إيهِ ....

فإنه ترك التنوين ، وبنى على الوقف ، ومعناه : حدثنا عن أم سالم » .

وبه أيضا أخذ ابن السكيت وهو بغدادي بصري كوفي ، قال (٢) : تقول للرجل إذا ستزدته من حديث أو عمل : إيهِ ، فإن وصلت قلت : إيهٍ حدثنا .... وذكر مثل ماذكره ثعلب في بيت ذي الرمة .

وثمة نص في كتاب العين (٣) ، وإن كنا لانستطيع الجزم بصاحبه ، وقد نسبه الأزهري (٤) إلى الليث ، وهو يثبت هذه اللغة ، ويحتج لها ببيت ذي الرمة ، وعبارته : « إيهِ المكسورة : في الاستزادة والاستنطاق ، قال ذو الرمة :

وقـفنا فـقلنا إيهِ ....

والمفتوحة : زجر ونهي ، كقولك : إيهَ حسبُكَ يارجل ، وقد ينونان جميعا ، فيقال : إيهٍ ، وإيهًا .

وهذا يشبه مانقله قطربٌ عن يونس بن حبيب ، إلا أنه أطلق ، ولم يقيد الكسر بحالة الوقف .

وقد كان لهذا النص كبير الأثر في موقف المعارضين للأصمعي إذ كان معتمدهم في تخطئته ، وسندهم في تصحيح بيت ذي الرمة .

---

(١) في المجالس ١/٢٢٨ = ٢٧٥ .

(٢) إصلاح المنطق ١٦٨ .

(٣) ٤/١٠٣ ، ١٠٤ .

(٤) تهذيب اللغة ٦/٤٨٢ .

ونلاحظ أن المجيزين ـ على الوقف ، أو على الإطلاق ـ إنما يحتجون ببيت ذى الرمة ، وهو موطن مؤاخذة المؤاخذين .

كما نلاحظ أن ثعلبا وابن السكيت قررا أن التنوين لازم على الوصل فى كلام العرب ، وأن يونس ، وصاحب العين أضافا لغة التنوين ، يونس فى حالة الوقف ، وصاحب العين فى الإطلاق .

وأن الروايات ـ باستثناء رواية صاحب العين ـ غير خالصة فى تأكيد صحة الكسر من غير تنوين .

الروايات المؤيدة للأصمعى :

روى أبو عبيد عن أبى زيد ، وابن الأعرابى (١) : « تقول فى الأمر : إيهٍ افْعَلْ ، وفى النهى : إيهًا عنى الآن ، وفى الإغراء : وَيْهًا يافلان » . فألزماها الكسر والتنوين . وأبو زيد من أئمة البصريين ، وابن الأعرابى من أئمة الكوفيين .

وذكر بعض النحاة (٢) عن البسيط : أن التنوين يلزم « إيهٍ » على مذهب سيبويه .

وقال ابن السراج (٣) ، وهو من البصريين : « ومن الشعراء الموثوق بهم فى لغاتهم كثير ممن قد أخطأ ؛ لأنه وإن كان فصيحا فقد يجوز عليه الوَهَل والزلَل ، من ذلك قول ذى الرمة :

وقفنا فقلنا إيهِ عن أم سالم ....

---

(١) عن تهذيب اللغة ٤٨٢/٦ .

(٢) ابن عقيل في المساعد على تسهيل الفوائد ٦٤٩/٢ .

(٣) في الأصول ٤٤٠/٣ .

قال : وهذا لايعرف فى شيىء من اللغات » .

وهذه الروايات صريحة فى صحة ماذهب إليه الأصمعى ، ومما يؤكدها أن جماعة من النحاة واللغويين حملوا قول ذى الرمة على الضرورة .

فقد ذكر عن الزجاج (١) أن ذا الرمة أراد التنوين ؛ إذ معناه : هاتِ حديثاً أىَّ حَديثٍ كانَ عن أم سالم ، فتركه للضرورة .

وهذا ماصرح به الشنتمرى (٢) فى قوله : « لما اضْطُرَّ تَأوَّله مَعْرِفَةً » .

وهكـذا نرى أن اللغويين مـن البصريين والكوفـيين ، والنحاة من البصريين والكوفـيين أيضا ، قـد لمسـوا مخالفة ذى الرمـة ، وأن بعضهم حـاول تخريجه على وجه صحيح ، وأن بعضـهم حـمله على الضـرورة وأن بعضـهـم خطأه صـراحـة .وهـذا يُبْطل زعـم القائل بـأن « جميع النحويين صوبوا قـول ذى الرمة » وأن « جميع البصريين صوبوا ذا الرمة (٣) » .

ويكشف أيضا عن أن قول ابن جنى (٤) « من أنكر هذا البيت على ذى الرمة فإنما خَفِىَ عليـه هذا الموضع » إطلاقٌ تابَعَ فـيه شـيخَه أبا علي الفارسى ، وكـلام أبى على غـير خاف على شيخه ابن السراج ، فضلا عن ثعلب وابن السكيت ، كما أنه لايخفى على يونس بن حبيب والأصمعى .

ثم إن طلب « المعرفة » فى بيت ذى الرمة غير متعين ، فليس بلازم أن يكون المعنى : هات الحـديث ، فَيَصح عليـه قـول ذى الرمـة « إِيهِ عن أم سـالم » ويُقْبَل عليـه حكم الفارسى ، وغيره من الذين يحاولون تصويب ذا الرمة وتخطئة الأصمعى .

---

(١) شرح الكافية ٧١/٢ .

(٢) في النكت ٨٦٧ .

(٣) ابن يعيش في شرح المفصل ٣١/٤ ، ٧١ وانظر المخصص ٨١/١٤ .

(٤) سر الصناعة الإعراب ٤٩٤ .

ولم يحتج الفارسى ، ومن تابعه بقول من كلام العرب يؤكد مايذهبون إليه غير بيت ذى الرمة ، وإنما خرجوه قياسا على أسماء الأصوات من نحو « غاقِ » و « غاقٍ » .

وقد تناسى ابن جنى أنه ذكر فى تعارض السماع والقياس (١) أنه « إذا تعارضا نَطَقْتَ بالمسموع على ماجاء عليه ولم تقسْه فى غيره » وأنه « إن شذ فى الاستعمال ، وقوى فى القياس ، كان استعمال ماكثر استعماله أولى ، وإن لم ينته قياسه إلى ماانتهى إليه استعماله » .

ولا يُحْتَجُّ بأن ذا الرمة فصيح ، وأن قوله حجة من بين المسموع عن العرب ؛ لأن قوله أثار انتباه كبار أئمة اللغة ، فأخذوا يتأولونه مرة على نية الوقف ، ومرة على الضرورة ، ومنهم من لم يجد غير التصريح بخطئه ، كالأصمعى ، وابن السراج شيخ أبى على الفارسى .

ولم تكن هذه هى السقطة الأولى لذى الرمة ، فقد سبقت له هفوات عدها ابنُ جنى ، وغيرُه من سقطات العلماء وأغلاطهم التى يتعايبون بها ، وفيه يقول : « وهذا ونحوه مما يعتد فى أغلاط العرب ، إلا أنه لما كان من أغلاط هذه الطائفة القريبة العهد جاز أن نذكره فى سقطات العلماء » .

كما أن حجية ذى الرمة أمر فيه شَيْءٌ ؛ لأن الأصمعى لم يكن يراه حجة ؛ إذ « طالما أكل المالح والبقل فى حوانيت البقالين حتى بشم (٢) » .

---

(١) الخصائص ١/١١٧ ، ١٢٤ .

(٢) الخصائص ٣/٢٩٦ .

هـ - فى المعانى والأفكار

تجاوزت مآخذ الأصمعى على شعر ذى الرمة المستوى الإفرادى بين الألفاظ ومدلولاتها إلى المستوى التنظيمى أو التركيبى ، وعلاقته بالمعنى الذى يؤديه ، ومدى دقته فى الأداء . ونقداته اللاذعة تشهد بصفاء فطرته وصدق حسه ، وسمو فكره ، وتمرسه بأساليب العرب .

وقد أطبق اللغويون على أنه مما تُذَم به الراحلة : أن تكون مِعْجالا ، وهى التى إذا وضع الرجُلُ رِجْلَه فى غَرزها : قامت ووثبت ، ولذا وصف الراعى النميرى ناقته بالأدب والثبات والنشاط فى قوله (١) :

وواضعةٍ رأسَها للزِّمَا ... مِ فالخَدُّ منها له أصْعَرُ
فلا تُعْجِلِ المَرْءَ قَبْلَ الورو ... كِ وهْىَ بِركْبَتِهِ أبْصَرُ
وهْىَ إذا قامَ فِى غَرْزِها ... كمِثْلِ السَّفِينَهِ أوْ أوْقَرُ

وأراد ذو الرمة أن يتمثل هذه الصورة فى بائيته المشهورة ، فقال (٢) :

والْعِيسُ من عاسِجٍ أو واسِجٍ خَبَباً ... يُنْحَزْنَ من جانِبَيْها وَهْىَ تَنْسَلِبُ
تُصْغِى إِذا شَدَّها بالكورِ جانِحَةً ... حتى إذا ما اسْتَوىَ فى غَرْزِها تَثِبُ
وَثْبَ الْمُسَحَّجِ من عاناتِ مَعْقُلَةٍ ... كَأنَّهُ مُسْتَبانُ الشَّكِّ أوْجَنِبُ (٣)

---

(١) انظر الإبل للأصمعى ١١٣ ، ١١٤ وشعر الراعى ٧٢ .

(٢) ديوانه ١/٤٨ ق ١/٣٤ .

(٣) العَسْجُ والعَسَجانُ ، والوَسْجُ والوَسَجان ضربان من أنواع سير الإبل فوق التَّمِيل ، والعَسْجُ أسرع من الوَسْجِ ، ويُنْحزن : يُستحثَثْنَ ويُضْربن بالأعقاب ، وتنسلِبُ : تَنْسَلُّ . والكور : الرحل ، وجانحة : لاصقة بالأرض دانية منها ، والجانح : المائل إلى الشيىء أيضا . والغَرْزُ : سير كالركاب يضع الرجُلُ رِجله إذا أراد الركوب عليه . والمسَّحج : المعَضَّد المكدَّم من حمر الوحش . والعانات : جمع عانة ، وهى الجماعة من الحمير ، ومَعْقُلَة : موضع بالدهناء . والشك : الظَّلع . والجنِبُ : الذى لصقت رئته بجنبه من العطش وهو أيضا : الذى يشتكى جنبه ، وهذه صورته أول مايعدو من نشاطه :

يقول تميل إلى الراكب ميل المستمع وتدنو إلى الأرض ، وهى راسخة ثابتة لا تسقط بسبب ميلها ، فإذا استوى فى غرزها تثب نشاطا .

والغَرْز : سير مضفور يضع الراكب رجله فيه كلما أراد الركوب .

وهنا وقف الأصمعى ، ثم قال (١) :قد أساء فى هذا البيت ، كان يبغى أن يستوى ثم تَثِبَ ناقتُه . وقال : بيت الراعى أجود منه ، وهو قوله :

فلا تعجل المرء قبل الورو ك وهى بركبته أبصر

وهى إذا قام فى غرزها كمثل السفينة أو أوقر

وقال : فقيل له : ألا قلت مثل قول الراعى ؟ قال : ففكر ساعة ، ثم احتال ، فقال : الراعى وصف ناقة الملوك ، وأنا وصفت ناقة السوقة .

وقد حمل بعضهم على الأصمعى ورماه بالكذب ، وهو على بن حمزة ، قال (٢):

إن ذا الرمة لم يخطىء ، وأن ماروى عنه من الاعتذار حكاه الأصمعى فكذب فيه ، وأن مراد ذى الرمة : حتى إذا مااستوى على ظهرها ، وإذا كان كذلك فقد استوى : فى غرزها ....» .

وحقيقة الأمر تؤكد صحة ماذهب إليه الأصمعى ؛ فإن هذه الرواية وردت من طرق مختلفة مجمعة على صدق الأصمعى ، وصحة مأخذه ، وخطأ ذى الرمة .

---

(١) شرح الديوان ١/٤٨ ، ٤٩ .

(٢) عن أوهام الشعراء ص ٤٢ .

فقد ثبت أن أبا عمرو بن العلاء شيخ الأصمعى سبق ونبه ذا الرمة إلى هذا الخطأ ، فبالإضافة إلى رواية الأصمعى نفسه ذلك (١) ، ذكر المرزبانى (٢) عن الصولى ، قال : حدثنا الرياشى عن أبى حاتم ، وأبو عبيدة عن أبى عمرو بن العلاء أنه لقى ذا الرمة ، فقال : أنشدنى « مابال عينك » فأنشده ، فلما انتهى إلى قوله :

تُصْغى إذا شَدَّها بالكور جانحةً ... حتى إذا مااستوى فى غَرْزِهَا تَثِبُ

فقال أبو عمرو : ماقاله عمك الراعى أحسن مما قلت ، وأنشد قول الراعى .

فقال ذو الرمة : إن الراعى وصف ناقة ملك ، وأنا أصف ناقة سوقة .

تَثِبَ ناقتُه . وقال : بيت الراعى أجود منه ، وهو قوله :

فلا تعجل المرء قبل الورو ... ك وهى بركبته أبصر

وهى إذا قام فى غرزها ... كمثل السفينة أو أوقر

وقال : فقيل له : ألا قلت مثل قول الراعى ؟ قال : ففكر ساعة ، ثم احتال ، فقال : الراعى وصف ناقة الملوك ، وأنا وصفت ناقة السوقة .

---

(١) انظر المخصص ١٢٨/٨ .

(٢) الموشح ٢٧٨ .

ورويت أيضا من طريق من طريق آخر ، ذكره المرزبانى (١) بسنده عن محمد بن مسلمة بن رُتْبيل ، قال : مر رُتْبيل بذى الرمة ، وهو ينشد قصيدته البائية ، قال : فاستمع عليه ، فما زال ينشد حتى انتهى إلى هذين البيتين .

تصغى إذا شدها ....

وَثْبَ المُسَحَّج مـــن ....

فقال له : أخطأت ياذا الرمة ، ألا قلت كما قال الراعى : .... وذكر الأبيات ، فقال ذو الرمة : لله أنت ! إنما وصف الراعى ناقة ملك ، ووصفت أنا ناقة سوقة .

ورواية أخرى ذكرها المرزبانى (٢) أيضا بسنده عن أحمد بن يحى ثعلب عن ابن سلام الجمحى ، قال : قيل لذى الرمة : مالك لم تقل كما قال عمك الراعى ؟ ....

وذكر قول الراعى ، وقال : وقلت أنت : « تصغى إذا .... » فقد رمت به ، وكسرت بعضه ، وهشمته قبل أن يستوى عليها . فقال : إن عمى وصف ناقة ملك ، ووصف ناقة سوقة يقطع بها الأسفار .

وكذلك روى ابنُ عرفة « نفطويه » عن المبرد مثل الرواية السابقة (٣) .

وهذه الأخبار ذكرها الثقات ، وأثبتها الرواد فى مصنفاتهم ، كابن قتيبة ، وابن عبد ربه ، والبكرى والمرتضى ، والأزهرى ، وابن سيده ، وابن السيرافى ، وابن سنان الخفاجى (٤) ، وغيرهم ، ولم نجد چنهم من كذب الأصمعى سوى على بن حمزة الأصفهانى ، وكلهج خطأ ذا الرمة .

---

(١) الموشح ٢٧٦ .

(:) السابق ٢٧٧ .

(٣) نفسه ٢٧٨ .

(٤) انظرالشعرو الشعراء ٣٥٦ وسمط اللآلى ٨٩٨ والعقدالفريد ٥/٤٣٣ وأمالى المرتضى ١/٢٧٩ : وتهذيب اللغة ٩/٧ والمخصص ٨/١٢٨ والمحكم ١/١٩٥ وشرا أبيات سيبويه ٢/١٢٠ وسر الفصاحة ٢٥١ .

وأوردوا تعليققت لأعراب سمعوا ذا الرمة ينشد قوله ، فمنهم من قال :اگ صُرِعَ والله الرجلُ » (١) .

ومنهم من قال : « سقَطَ الراكِبُ » (٢) ومنهم من قال : « ومنهم من قال : « أخطأت ياذا الرمة » ومنهم من قال : « أسأت » (٣) .

وليس لذى الرمة عذر مقبول فى هذا ، فقد كان رواية للراعى يحفظ شعره ويردده ، وكان يلزمه إذ احتذى شعره أن لايقصر عن شأوه ، ولكنه أحال المعنى وأفسده بسبب القافية البائية التى اضطرته إلى إتمامها بكلمة « تثب » وبسبب المبالغة فى وصف نشاطها .

ولذلك بادره بعض من سمعه ينشده بقوله (٤) : « أسأتَ ؛ إذا وضع رجلَه فى غَرْزها فوثبتْ رَمتْ به ، فَدُقَّتْ عُنقُه ، هلا قلت كما قال الراعى : .... » .

واعتذار ذى الرمة يدل على أنه أدرك الخطأ فأخذ يتلمس له وجها فلم يجد إلا المقارنة بين ناقة ملك ، وناقة سوقة ، وقد نسى أنه صَدَّرَ وصفها بأنها مطيعة فطنة ثابتة ، وهذا فى بيت الراعى :

ومُصْغِيةٍ رأسَها للزِّمام فالخدُّ منها له أصْعَرُ

ولكن ذا الرمة تعجل وَصْفَها بالنشاط فى نفس البيت ، فقال :

تُصغى إذا شدَّها بالكُور جانحةً حتى إذا مااستَوى فى غَرْزِها تَثبُ

---

(١) الشعر والشعراء ٣٥٦ والسمط ٨٩٨ والعقد الفريد ٤٣٣/٥ .

(٢) الموشح ٢٧٨ .

(٣) السابق ٢٧٧ . ٢٧٨ .

(٤) نفسه .

وتَحَرَّزَ الراعى لما ذكرَ الغَرْزَ ، فقال فى بيت آخر :

وهْى إذا قـــامَ فـى غَرْزِهـا ... كـمـثل السـفـينةِ أو أوْقَرُ

وفى رواية أنه قال :

حـتى إذا مـاستـوى طَبَّقَتْ ... كـمـا طَبَّقَ المِسْحَلُ الأغْبَرُ

فوصفها بالنشاط أيضا ؛ لأن معنى طبقت : وثبت على قوائمها الأربع ، غير أنه هنا لم يذكر الغرز ، فاستقام المعنى فى قوله : « استوى » .

وقد علق بعض النقاد (١) على قول ذى الرمة بأنه « أراد أن يصفها بالنشاط ، فجعلها تثب عند وضع رجله فى ركابها ، وهى مبالغة جعلت نشاطها هوجا ورعونة » .

ومن ثم فإن اعتذاره عن طريق المقارنة بين ناقة الملك ، وناقة السوقة ليس بشىء كما صرح الأصمعى ، وابن عبد ربه ، وغيرهما (٢) .

وعلى ابن حمزة يذهب إلى أن ذا الرمة لم يخطىء ، وأن مراده : حتى إذا ماستوى على ظهرها ، وإذا كان كذلك فقد استوى فى غرزها (٣) .

ونقول : لو كان الأمر كما ذكر لما خطأه من سمعه وجها لوجه ، ولما عجز ذو الرمة عن الرد والتوجيه .

والمقام مقام معارضة بين قوله وقول الراعى ، وكلاهما وصف الناقة بالأدب والفطنة والنشاط ، وبيت ذى الرمة مرتبط بما قبلة وما بعده ، وكذلك أبيات الراعى .

---

(١) أوهام الشعراء ص ٤٢ .

(٢) انظر السابق .

(٣) انظر السابق .

وكون ذى الرمة راويته ، ومعاصره مما استحضر الصورتين فى الأذهان ، فانعقدت المقارنة بينهما ، وحَكَمَ الأعراب الشهود بما حكموا ، وبين أهل العلم والخبرة بأساليب العرب مابينوا .

وقد ثبت ـ عن طريق الروايات المختلفة عن الثقات ـ اعْتِذارُ ذى الرمة ، كما سبق بيانه ، وما كان ذلك يكون من ذى الرمة إلا وهو مذعن بالخطأ .

وأما البيت الذى أنشده يحتج به على صحة قول ذى الرمة ، وينقض به مسلك أبى عمرو بن العلاء قبله ، وقال فيه : « وأبو عمرو مع عيبه بيت ذى الرمة قد أنشد مثله فى نوادره ، بل هو أشد سرعة من بيت ذى الرمة ، وهو :

إذا وُضِعَتْ فى غَرْزِها الرِّجْلُ أجْفَلَتْ كما أجْفَلَتْ بَيْدَانَةٌ أمُّ تَوْلَبِ

فلم نعثر له على أثر رغم كثرة التنقيب عنه ، وإن صح فإنه يَرِدُ عليه ماود على بيت ذى الرمة ، على أنه بيت منفرد عما قبله وعما بعده ، ويتعذر الحكم عليه وهو بهذه الحالة .

وهكذا نرى على بن حمزة ينتقل من تكذيب الأصمعى إلى اتهام شيخه أبى عمرو ، ومانرى ذلك إلا بسبب مانقل عن أبى عمرو وثبت عن طريق أبى عبيدة ، وأبى حاتم ، فضلا عن رواية الأصمعى ، من أنه كان أول من نبه إلى هذا المأخذ .

. . . . .

ومنه فى قول ذى الرمة يصف حُمُرَوحش ، وصائدا : (١)

فَعَرَّضَتْ طَلَقـــاً أعْناقَهـــا فَرَقًا ثم أطْبـــاها خَريرُ الماءِ يَنْسَكِبُ
فـــأقبلَ الحُقْبُ والأكـــبادُ ناشِزَةٌ فـوقَ الشَّراسِيفِ من أكْبادِها تَجِبُ
حـــتى إذا زَلَجَتْ عن كُلِّ حَنْجَرةٍ إلى الغَليـل ولَمْ يَقْصَعْنَهُ نُغَبُ (٢)

اختلف فـى تفسير قـولـه : « فَعَرَّضَـت طلَقًا أعنـاقَها فَـرقًا » فقـال الأصمعى : « مـالت أعناقُهـا فـرقًا مـن الصـائد راجعـة عـن المـاء تعـدو طَلَقًا « شـوطا » ثم أطباها ....فأقبلت إليه » .

وقال ابن الأعرابى : « إنها لم تَرجعْ ، ولكنهـا لماَ خافت التَفَتَتْ تسمع مِقْدارَ ماتجرى طَلَقًا ، ثم أقبلت على الماء » .

وكأنه دعـاها فـأجابت ، وأكـبادها مـرتفـعة فـوق أضلاعـها تخـفق فَرَقًا من الصـائد ، فشربت جُرَعاً لم تَرْوِها .

وقـد جعلهـا ذو الرمـة تجيب دعـاء المـاء فى مـوقف يجلله الخوف والهلع من الصـائد الذى ماإن رآها حتى .

رمى فـــأخطأ والأقـــدارُ غـــالبَةٌ فانْصَعْنَ والوَيْلُ هِجِّيراه والحَرَبُ

(١) ديوانه ٦٩ ـ ٧١ ق ١/٥٧ وشرح البائية للصنوبرى ٦٠ـ ٦٢ .

(٢) عرضت : أمالت أعناقها فرقا من الصائد . والطلَق : الشوط . وأطباها : أى لما سمعت صوته أتته كأنه يدعوها . والحُقْب : جمع أحقب ، وحقباء ، وهى الحمر ، سميت بذلك لبياض فى موضع الحقيبة . وناشزة مرتفعه شاخصة من الفرق . والشراسيف : واحدها شرسوف ، وهو منقطع الأضلاع وأطرافها التى تشرف على البطن . وتجب : تخفق وتضطرب . وزلجت : دخلت إلى أجوافها . النغب الجُرَعُ واحدها : نُغْبَة . الغليل : حرارة العطش . ولم يقصعنه : يقتلنه ، أى : لم يروين . انظر شرح الديوان ، وشرح البائية للصنوبرى .

ومن المؤكد أن ذا الرمة قصد هذه الصورة لبيان حال الصائد مع الحمر ، وماحدث بينهما ، وأنه أراد أن يُخْفِقَ الصائدُ وتنجوَ الحُمُر فتفر هاربة قبل أن تروى غليلها من الماء .

ودليل ذلك أنه كرر تلك الصور بنفس فكرتها فى قصيدة أخرى ، قال : (١)

حتى إذا اخْتَلَطَتْ بالماء أكرُعُها ... أهْوى لها طامعٌ بالصَّيد محروم
فَبَوّأ الرمى فى نَزْع فحُمَّ لها ... مِن ناشبات بَنى جِلأنَ تَسْليم
فانصاعت الحُقْبُ لم تُقْصَعْ صرائرُها ... وقد نَشَحْنَ فلارِىٌّ ولا هِيم

ونجاة الحيوان من سهام الصائد تقليد فنى قديم متوارث منذ العصر الجاهلى ، خضع له ذو الرمة ؛ لا لمجرد التقليد فحسب ، وإنما لما تمتلىء به نفسه من حب الصحراء ومافيها من مظاهر الطبيعة ، حيوانا كان أو غيره « فَحِرصُ ذى الرمة على نجاة الحيوان كان من بعض جوانبه ـ بدون شك ـ صدى لحبه له وعطفه عليه ، وربما كان لنفسه اللاشاعرة أثر فى ذلك ؛ فإنه لايستطيع أن يحصل على حُبِّه ، وكذلك الصائد لايستطيع أن يصل إلى صيده » (٢) .

ولذلك ينبغى أن تكون الحمر خفيفة نشيطة سريعة ؛ لكى تنجو من سهام الموت الموجهة إليها من الصائد ، ولكن ورودها الماء قد يتسبب فى هلاكها ؛ لأنها إذا شربت استرخت وثقلت ، وبذلك تُمكِّنُ الصائدَ من نفسها . ولا شك فى أن ذا الرمة كان يعرف ذلك ، فجعل شربها نُغَباً .

---

(١) ديوانه ١/٤٥٣ ق ١٢ /٨٣ .

(٢) انظر التطور والتجديد فى الشعر الأموى ٢٧٧ و « ذو الرمة شاعر الحب والصحراء د/ يوسف خليف ٢٧٣ .

ولم يَرُقْ هذا للأصمعى ، فاستدركه على ذى الرمة ؛ روى المهلبى ، قال : قال الأصمعى : « ليس هذا من جيد الوصف ؛ لأنها إذا شربت ثقلت ، وإن كانت لم ترو » (١) .

ونسب صاحب أوهام الشعراء (٢) هذا إلى أبى عمرو ، والأصمعى ، وقال : « يريد أن الثقل يقلل نشاطها فى العدو ، ويمكن الصائد منها فكأنه يصفها بعكس ماأراد .... » .

وقد اعترض بعضهم على الأصمعى (٣) ، وقال : هذا غلط ، إنما تثقل إذا رويت ، وأما إذا شربت قليلا ، فإنه يقويها على العدو ، ولولا ذلك لهلكت عطشا ، وقد زاده شرحا بقوله فى غير هذه الكلمة :

فانصاعت الحقب ....

ولكننا نلاحظ أن قول ذى الرمة فى البيت الأول : « رمى فأخطأ » وقوله في البيت الثانى : « فَحُمَّ لها .... تَسْليمُ » يدل على أن النجاة كانت بسبب خطأ الصائد ، وأن الأقدار هى التى حتمت ذلك ، وليست بسبب النشاط الذى استمدته من هذه الجرعات .

فإن الفزع من وقع السهام الخاطئة هو الذى جعلها تَرْفَضُّ مسرعة كأنها جناح صقر قَرِمٍ أسرع ليدرك ذَكَرَ الحبارى .

وهذا التشبيه يقتضى أن تكون غاية فى الخفة والسرعة ، ولذلك آثر الأصمعى أن لاتشرب الماء ، وإن قل ؛ لأن ذلك يعوق سرعتها ويعرضها للهلاك .

. . . . .

(١) شرح الديوان ٧١/١ .

(٢) ص ٢٨ .

(٣) على بن حمزة . ذكره فى أوهام الشعراء ، وليس فى مطبوع التنبيهات .

و ـ فى التشبيه

ذكر ذو الرمة فى قصيدته الميمية التى يُشبب فيها بخرقاء القَوْسَ والوَتَرَ فى يد الصائد ، وهو يطارد الحُمُرَ قال (١) :

وفى الشِّمال من الشِّرْيان مُطعَمَةٌ   كَبْداءُ فى عودِها عَطفٌ وتَقْوِيمُ

يَؤودُ من مَتنِها مَتْنٌ ويجذِبُه   كأنَّه فى نِياطِ القَوْس حُلقومُ (٢)

يريد : وَتَرٌ من متن العَقَبِ يجذبُ متنَ القَوْسِ ، ويجذِب القوسُ الوَتَرَ إذا نزع فيها ، فالمتن الأول : القوس والمتن الثانى : وَتَرها .

فشبه الوتر فى كبد القوس ومعلقها بحلقوم القطاة فى استوائه وإحكامه (٣) .

ولكنه أطلق الحلقوم ، وهو المشبه به ، وليس فى البيتين وما بعدهما مايُبَيِّن ذلك ، فخالف بذلك شرط التشبيه ، ومقتضاه : إخراجُ الأغمض إلى الأوضح (٤) .

ولا يُعْلَم المراد بالحلقوم حتى يُقَيَّدَ ، وإن أمكن لمحُه من الإطلاق ، ولذلك قال الأصمعى : « هذه قوسٌ وعليها مَتْنٌ من وتر صُلب ، وتجذبه هى إذا رمى عليها ، شبهه بحلقوم القطاة فى استوائه وإحكامه ، ولم يصب فى « حلقوم » كان ينبغى أن يقول : حلقوم القطاة ؛ لأن حلقوم القطاة وَتَرٌ (٥) .

. . . . .

---

(١) ديوانه ١/٤٥١ ، ٤٥٢ ق ١٢ / ٨٠ ، ٨١ .

(٢) الشريان : شجر تعمل منه القسى . ومطعمة : ترزق الصيد . كبداء ضخمة الوسط عريضة . يؤود : يثنى ويعطف ويعوج . ويقال : قد انآد من صلبه : اعوج من متن القوس .

(٣) المعانى الكبير ٢/١٠٥٧ وحاشية تحقيق الديوان ١/٤٥٢ .

(٤) انظر العمدة ٤٨٨ ، ٤٨٩ .

(٥) شرح الديوان ١/٤٥٢ .

بَناتُ النَّقا

النَّقَا : مثل الكَثيب المجتمع الأبيض لا يُنْبت شيئا . وبنت النقا : دُوَيْبة بيضاءُ مشربة حمرة مَلْساء ، أصغر من العَظَاءة يقال لها : شحمة الأرض ، تخْرُج رأسَها ثم تخفى (١) .

شبه ذو الرمة بنان مَيٍّ بها فى قوله :

وفى العاجِ منها والدَّماليجِ والبُرَى   قَناً مالىءٌ للعين ريَّانُ عَبْهَرُ

خَراعيبُ أملودٌ كأنَّ بَنانَها   بَناتُ النَّقا تَخْفى مِراراً وتَظْهَرُ (٢)

يقول : فى العاج منها قَصَبٌ يملأ عينَ الناظر إليه لحسنه فلا يدع فى الطرف فضلا إلا استغرقه ؛ لأنه لايرى عيبا .

وكأن أصابعها بنات النقا فى بياضها وملاستها .

وهذا من التشبيهات التى تأبى النفسُ قبولَها لبشاعتها ، وإن كانت مصيبة « فإنها كأحسن البنان لينا ، وبياضا ، وطولا واستواء ، ودقة .... » (٤) .

وإن سبقه امرؤ القيس لمثله ، فى قوله (٥) :

وتَعْطو بِرَخْص غيرِ شَثْنٍ كأنَّه   أساريعُ ظَبْىٍ أو مساويكُ إسْحِلِ

---

(١) تهذيب اللغة ١٠١/٤ ، ٣١٩/٩ واللسان (نقا ـ حلك) وشرح الديوان ٦٢٢/٢ ، ٦٢٣ .

(٢) ديوانه ٦٢٢/٢ ق ١٩/١٥ ، ٢٠ .

(٣) العاج : السِّوار من مَسَك . والبرُى : الخلاخيل . والدماليج : واحدها دُمْلج ، ودُملوج : المِعْضَد من الحلى . والبُرَى : الخلاخيل . والقنا : القصب . ريان : ممتلىء . عبهر : حسن ممتلىء . والخراعيب : واحدها خُرعوبة ، وهى : اللينة الطويلة الحسنة القوام . وأملود : ناعم لين .

(٤) انظر العمدة ٥٠٨ ، ٥٠٩ .

(٥) ديوانه ١٧ .

فـقـد أخـذه عليـه النقـاد ؛ لأن الأسـاريع : دود بيض حـمـر الرؤوس تكون فـي الأمـاكن الندية ، فلم يكن إلا تشبيه البنان بالدود ، وهو قبيح ، وإن كان مصيبا .

ومن ثم قال الأصمعي في تشبيه ذي الرمة : « بئس ماشَبَّهَ » (١) .

. . . . .

(١) شرح الديوان ٢/٦٢٣ .

ومنه قوله (١) :

ألا ياسْلَمى يادارَمَيّ على البِلى ولا زالَ مُنْهَلاً بِجَرْعائِكِ الْقَطْرُ (٢)

افتتح كلامَه فحياها بالسلامة رغم بِلاها ، ثم دعا لها بدوام انْهِلالِ المطرِ على جَرْعائِها .

ولما كان الانهلال شِدَّةَ انصباب المطر ، ودوامُه علىَ هذا النحو يُفْسِدُها ، كانَ كأنَّه دعالها بالسلامة ، ثم دعا عليها بالهدم والخراب .

لذلك عابه عليه العلماء ، فقد ذكر المرزباني بسنده عن أبى حاتم ، قال (٣) : سمعت الأصمعي يقول : « لو أدركت ذا الرمة لأشرت عليه أن يدع كثيرا من شعره ، فكان ذلك خيرا له » وقد أنكر قول ذى الرمة :

ألا ياسْلمى ....

واحتج من عاب هذا البيت بأن فى قوله هذا إفسادا للدار التى دعالها ، وهو : أن تغرق بكثرة المطر ، وقالوا : الجيد قول طرفة (٤) :

فسَقَى ديارَكِ غَيْرَ مُفْسِدِها صَوْبُ الغَمامِ ودِيمَةٌ تَهْمِي

---

(١) ديوانه ١/٥٥٩ ق ١/١٥ .

(٢) ألا : كلمة يستفتح بها الكلام . ياسلمى ، يريد : ياهذه اسلمى ، وإن كنت قد بليت . منهلا : منصبا جاريا . والجرعاء من الرمل : رابية سهلة لينة ، وقيل : مرتفع من الرمل مستو .

(٣) الموشح ٢٩١ .

(٤) يوانه ٨٧ .

وكان قد روى أبو عبيد (١) ، وأبو حاتم (٢) عن الأصمعى ، قال : « أخبرنى أبو عمرو ابن العلاء ، قال : قال : قال لى ذو الرمة : مارأيت أفصح من أمة بنى فلان ، قلت لها : كيف كان مَطَرُكم ؟ فقالت : غِثْنا ماشِئْنا » .

وفى حديث النبى ﷺ عن رُقَيْقَةَ بنت أبى صيفى ، وكانت لِدَةَ عبدِ المطلب : ....ألاَ فَغِثْتُمْ أبد ماشِئْتُم وعِشْتُمْ ....» (٣) .

فقد احترست الأمة التى أعْجِبَ بفصاحتها ذو الرمة بقولها : « ماشئتنا » وكذلك تُحُرِّزَ فى الحديث ، ولكن ذا الرمة لم يتحرز ، فقال أبو هلال العسكرى : « ترك ذو الرمة هذا المذهب على إعجابه به واختياره له ، وقال :

ألا ياسلمى		....

فقيل له : هذا بالدعاء عليها أشبه منه بالدعاء لها ؛ لأن القطر إذا دامت فيها فسدت ، والجيد قول طرفة :

فسقى ديارك		....

وأيضا فإن الجاحظ قد استَحْسَنَ قول طرفة هذا فى المِقدار وإصابة حَدِّه ، قال (٤) : « طَلَبَ الْغَيْثَ على قدر الحاجة وقال النبى ﷺ فى دعائه : « اللهم اسْقِنا سَقْياً نافِعاً » وقال : « اللهم حوالينا ولاعلينا » .

وكذلك عده كل من قدامة بن جعفر (٥) ، وأبى العلاء المعرى (٦) ، وابن سنان الخفاجى (٧) من خطأ ذى الرمة .

---

(١) فى الغريب المصنف ٣٩٦ .

(٢) وصف المطر والسحاب لابن دريد ٧٨ والتعليقات والنوادر للهجرى ١١٥ وغريب الحديث للخطابى ٤٣٧/١ .

(٣) السابق ، والفائق ١٦١/٣ والنهاية ٤٠٠/٣ .

(٤) فى البيان والتبيين ٢٢٨/١ .

(٥) نقد الشعر ١٧١ .

(٦) رسالة الملائكة ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٧) سر الفصاحة ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

ونهض جماعة إلى تصويبه ، كابن رشيق (١) ، وأسامة بن منقذ (٢) ، وابن هشام (٣) ، وأبى حيان (٤) ، وغيرهم .

وكلهم اعتمد على تقديم ذى الرمة الدعاء بالسلامة للديار فى أول البيت ، فذكر ابن رشيق قول قدامة : إن ذا الرمة لم يحترس كما احترس طرفة ، وصوب رَدَّهم عليه بأنه قدَّمه فى أول البيت .

وجَهَّل ابنُ مُنقذٍ من عابه على ذى الرمة ، قال : « وعابه من لايعرف فى النقد شيئا »

وذهب ابن هشام إلى ذلك أولا ، ثم قال : « وأنه إذا قيل : لم يزل فلانٌ يُؤَذِّن ، فمعناه : فى أوقات الاحتياج إلى ذلك » .

وبَيَّنَه أبو حيان بأن « زال » تدل على ملازمة الصفة للموصوف على حسب ماكان قبلها ، فإن كان إتصافُه بها مُتصلَ الزمان دامت الصفة له كذلك ، وإن كان اتصافُه بها فى أوقات متفرقة دامت له كذلك ، وذو الرمة قد عَهِدَ دارَ مَيّ فى خصب ؛ لسقى المطر لها فى أوقات الحاجة إلى ذلك ، فدعا لها بألا تزال على ماعهدها من انهلال القطر بجرعائها وقت الحاجة إليه .

ونرى أن هذه اجتهادات ، وسواء أصابت أو أخطأت ، فإنها لن ترقي بـ ت ذى الرمة إلى منزلةٍ تُدانى قول طرفة :

فسقى ديارك غيرَ مُفْسِدِها   صَوبُ الغَمام وديمةٌ لا تُقْلِعُ

---

(١) العمدة ٦٤٦ .

(٢) البديع فى البديع ٩١ .

(٣) تلخيص الشواهد ١٩٦ .

(٤) شرح التسهيل ٢/٢٧٦ .

وقول جرير (١) :

فسقاك حيثُ حللت غَيرَ فقيدةٍ   هَزِجُ الرَّوَاحِ ودِيَمـــــةٌ لا تُقْلِعُ

فإن الفعل « سقى » فى البيتين كاف فى الاحتراس مما أُخِذَ على ذى الرمة فضلا عن احتراس طرفة فى قوله : « غير مفسدها » وذكرهما « الديمة » وهى المطر الذى ليس فيه برق ولا رعد .

أما تخريج النحاة ، فإنه ـ إن صح ـ لاينفي غير احتمال الدوام فى كل حال ، وتبقى صفة وقع القطر على ماهى عليه من الشدة والكثرة خالية من التحرز ، وهذا بيتَ الداء

. . . . .

---

(١) ديوانه ٩٠٩ .

وفى قصيديه العينية (١) .

أرى ناقتى عند المُحصَّب شاقَها ... رَواحُ اليمانِىِّ والْهَديلُ المُرجَّعُ (٢)

فلما مَضَتْ بعد المُثنِّينَ ليلةٌ ... وزادَ على عَشْرٍ من الشَّهرِ أربَعُ (٣)

سَرَبْ مِن مِنًى جُنْحَ الظلام فأصبحَتْ ... بِبُسْيانَ أيديها مع الفَجرِ تمْلَعُ (٤)

يقول : لما رأت ناقتى الإبل تُحْدَج ، وسمعت الهديلَ اشتاقت إلى أوطانها ، فأمرتها بالسكون إلى أن نَفرَ المُثنُّونَ بعد ليلتين من النحر ، فَنفرْتُ أنا ليلة أربع عَشْرةَ بعد حلول الظلام .

والمتفق عليه أن اليوم العاشر هو يوم النحر ، وترمى فيه جمرة العقبة ، ثم يمكث الحاج فى منى أيام التشريق ، وهى ثلاثة ، الحادى عشر ، والثانى عشر ، والثالث عشر يرمون الجمرات الثلاث فى كل يوم ، فمنهم من ينفر بعد يومين ، أى : بعد اليوم الحادى عشر ، والثانى عشر، وهم « المثنون » كما ذكر .

ومنهم من يتأخر بعدهم يوما ، وهو اليوم الثالث عشر ، قال الله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى ﴾ (٥) .

---

(١) ديوانه ٢/٧٢٦ ـ ٧٢٩ ق ٢٣/١٧ ، ٢٠ ، ٢١ .

(٢) المحصب : مرمى الجمار . رواح اليماني : نفرهم ، وهم ينفرون قبل النفر بيوم . والهديل والهدير : واحد .

(٣) المثنون : الذين أقاموا ليلتين بعد النحر .

(٤) بُسْيان : موضع على أحد وعشرين ميلا من الشبيكة بينها وبين وجرة . وتَملَع : تمشى بخطى واسعة .

(٥) سورة البقرة آية ٢٠٣ وانظر جامع البيان للطبرى ٢/٣٠٢ ـ ٣١٢ .

أى أن المثنين يمكثون ليلة الحادى عشر ، وليلة الثانى عشر ، ويزيد عليهم هو ليلة الثالث عشر ، فيكون قد زاد على عشر ثلاثا ، ثم ينفر بعد غروب الشمس وحلول الظلام فى الليلة الرابعة بعد العشر .

وأما قول الأصمعى : « هذا خطأ ، وإنما ينفر الناس لثلاث عشرة ؛ لأنهم يرمون يوم الأضحى ، ثم الثانى ، والثالث ، فلايبقى ليلة الثالث عشر بمِنًى أحد » (١) فهو سهو ؛ لأن الذى يفعل ذلك هم المثنون ، أو من تعجل .

---

(١) شرح الديوان ٧٢٨/٢ .

فهرست المصادر والمراجع

(١) الإبدال - لأبى الطيب اللغوى - تحقيق عز الدين التنوخى - دمشق ١٩٦١ م .

(٢) أداب الكاتب لابن قتيبة - تحقيق محمد الدالى - بيروت ١٩٨٢ م .

(٣) إصلاح المنطق - ابن السكيت - تحقيق أحمد محمد شاكر - عبد السلام هارون - دار المعارف ١٩٧٠ م .

(٤) الأصول لابن السراج - تحقيق د / عبد الحسين الفتلى - بيروت ١٩٨٥ م .

(٥) الأضداد لابن الأنبارى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - الكويت ١٩٦٠ م .

(٦) الاقتضاب شرح أدب الكتاب - لابن السيد - تحقيق مصطفى السقا - د / حامد عبد المجيد - الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨١ م .

(٧) الأمالى للقالى - طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ م .

(٨) أمالى المرتضى - غرر الفوائد ودرر القلائد - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - طبع الحلبى ١٩٥٤ م .

(٩) إنباه الرواة على أنباه النجاة للقفطى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - طبع دار الكتب المصرية ١٣٩٩ م .

(١٠) أوهام شعراء العرب - أحمد تيمور - دار الكتاب العربى ١٩٥٠ م .

(١١) البحر المحيط لأبى حيان - طبع السعادة ١٣٢٨ هـ .

(١٢) البديع فى البديع لأسامة بن منقذ - تحقيق مهنا - دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٧م .

(١٣) البيان والتبيين للجاحظ ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ طبع الخانجى .

(١٤) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدى ـ تحقيق جماعة ـ الكويت .

(١٥) التبصرة والتذكره للصيمرى ـ تحقيق د/ فتحى على الدين ـ مطبوعات جامعة أم القرى ١٤٠٢ هـ .

(١٦) التطور اللغوى والتاريخى ـ إبراهيم السامرائى ـ معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٦ م .

(١٧) التطور والتجديد فى الشعر الأموى د/ شوقى ضيف ـ دار المعارف ١٩٥٩ م .

(١٨) التعليقات والنوادر فى معانى أبيات الحماسة للهجرى ـ تحقيق د/ عبد الرحيم عسيلان .

(١٩) تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد لابن هشام الأنصارى ـ تحقيق د/ السيد تقى عبد السيد مصر ١٤٠٦ هـ .

(٢٠) التكملة والذيل والصلة للصغانى ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية ١٩٧٠ م .

(٢١) تمهيد القواعد شرح تسهيل الفوائد لناظر الجيش ـ تحقيق محمد راغب نزال رسالة دكتوراه ـ كلية اللغة العربية جامعة الأزهر ١٩٨٦ م .

(٢٢) التنبيهات على أغاليط الرواة لعلى بن حمزة ـ تحقيق الميمنى ـ دار المعارف ١٩٦٧ م .

(٢٣) تهذيب إصلاح المنطق للتبريزى ـ تحقيق د / فخر الدين قبادة ـ بيروت ١٩٨٣ .

(٢٤) تهذيب ألفاظ ابن السكيت للتبريزى ـ تحقيق لويس شيخو ـ بيروت ١٨٩٥ م .

(٢٥) تهذيب اللغة للأزهري - جماعة من العلماء - الهيئة المصرية للكتاب .

(٢٦) جامع البيان عن تأويل آى القرآن للطبرى - دار الفكر بيروت .

(٢٧) جمهرة اللغة لابن دريد - تحقيق د / رمزى بعلبكى - بيروت ١٩٨٧ م .

(٢٨) خزانة الأدب - للبغدادى تحقيق عبد السلام هرون - الهيئة المصرية للكتاب .

(٢٩) الخصائص - ابن جنى - تحقيق الشيخ محمد على النجار - دار الكتاب العربى - بيروت ١٩٥٢ م .

(٣٠) خلق الإبل للأصمعى = الكنز اللغوى .

(٣١) الخيل للأصمعى - مجلة المورد ع ٤ ج ١٢ سنة ١٩٨٣ م .

(٣٢) الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبى تحقيق د / محمد أحمد الخراط - دمشق ١٤٠٦ هـ .

(٣٣) ديوان الأعشى الكبير تحقيق محمد محمد حسين - بيروت ١٩٨٣ م .

(٣٤) ديوان امرىء القيس تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف ١٩٦٩ م .

(٣٥) ديوان جرير - بيروت ١٩٧٨ م .

(٣٦) ديوان الراعى النميرى - تحقيق د / نورى حمودى القيسى - وهلال ناجى - طبع المجمع العلمى العراقى ١٩٨٠ م .

(٣٧) ديوان رؤبة بن العجاج « مجموع أشعار العرب » جمع وليم بن الورد - بيروت ١٩٨٠م .

(٣٨) ديوان ذى الرمة تحقيق عبد القدوس أبو صالح ـ دمشق ١٩٧٢ م .

(٣٩) ديوان طرفة بن العبد ـ بيروت ١٩٧٩ م .

(٤٠) ديوان العجاج ـ تحقيق الدكتور عزه حسن ـ حلب ١٩٧٠ م .

(٤١) دايون الفرزدق ـ بيروت ١٩٦٦ م .

(٤٢) ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى ـ مكتبة القدسى .

(٤٣) ديوان النابغة الذبيانى ـ تحقيق د / مفيد قميحة دار المطبوعات الحديثة ـ جدة .

(٤٤) رسالة الملائكة لأبى العلاء المعرى ـ تحقيق محمد سليم الجندى ـ دمشق ١٩٤٤ م .

(٤٥) ذو الرمة شاعر الحب والصحراء د/ يوسف خليف دار المعارف ١٩٧٠ م .

(٤٦) السبعة فى القراءات ـ لابن مجاهد ـ تحقيق الدكتور شوقى ضيف ـ دار المعارف .

(٤٧) سر صناعة الإعراب لابن جنى ـ تحقيق د / حسن هنداوى ـ دار القلم بيروت ـ دمشق ١٩٨٥ م .

(٤٨) سر الفصاحة ـ للخفاجى ـ تحقيق الشيخ عبد المتعال الصعيدى ـ ط صبيح ١٩٥٣ م .

(٤٩) سمط اللآلى للبكرى تحقيق الميمنى ـ بيروت ١٩٨٤ م .

(٥٠) شرح أبيات سيبويه لابن السيرافى ـ تحقيق د / محمد على سلطان ـ دار المأمون للتراث ١٩٧٩ م .

(٥١) شرح أبيات سيبويه لأبى جعفر النحاس - تحقيق د/ وهبه عمر سالمة - القاهرة ١٩٨٥ م .

(٥٢) شرح بائية ذى الرمة للصنوبرى - تحقيق د / محمود مصطفى حلاوى - بيروت ١٩٨٥ م .

(٥٣) شرح التسهيل « التذييل والتكميل » لأبى حيان - تحقيق سليمان الحلفاوى ، رسالة دكتوراه كلية اللغة العربية جامعة الأزهر ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .

(٥٤) شرح ديوان الحماسة للتبريزى - عالم الكتب - بيروت .

(٥٥) شرح شافية ابن الحاجب - للرضى - تحقيق جماعة - بيروت ١٩٧٥ م .

(٥٦) شرح الكافية للرضى - دار الكتب العلمية - بيروت .

(٥٧) شرح الكافية لابن مالك - تحقيق د / عبد المنعم هريدى - مطبوعات جامعة أم القرى ١٤٠٢ هـ .

(٥٨) شرح المفصل لابن يعيش - عالم الكتب - بيروت .

(٥٩) الشعر والشعراء لابن قتيبة - تحقيق د/ قميحه - بيروت ١٩٨٥ م .

(٦٠) الصناعتين لأبى هلال العسكرى - تحقيق على محمد البجاوى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ط الحلبى ١٩٥٣ م .

(٦١) ضرائر الشعر - لابن عصفور - تحقيق السيد إبراهيم محمد - بيروت ١٩٨٠ م .

(٦٢) العقد الفريد لابن عبد ربه - تحقيق جماعة - بيروت ١٩٨٣ م .

(٦٣) العمدة - لابن رشيق - تحقيق الدكتور محمد قرقزان - بيروت ١٩٨٨م .

(٦٤) العين ـ للخليل بن أحمد ـ تحقيق د / مهدى المخزومى ، وإبراهيم السامرائى ـ بغداد .

(٦٥) غريب الحديث للخطابى ـ تحقيق العزباوى ـ مطبوعات جامعة أم القرى ١٩٨٢ .

(٦٦) غريب الحديث لأبى عبيد القاسم ـ ط الهند ١٩٦٤ م .

(٦٧) الغريب المصنف لأبى عبيد ـ تحقيق محمد مختار العبيدى ـ تونس ـ بيت الحكمة ١٩٨٩ م .

(٦٨) الفائق فى غريب الحديث للزمخشرى ـ تحقيق محمد على البجاوى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ط الحلبى .

(٦٩) الفرق لقطرب ـ تحقيق د / خليل العطية ـ القاهرة ١٩٨٧ م .

(٧٠) فعل وأفعل ـ للأصمعى ـ تحقيق العزباوى ـ مجلة مركز البحث العلمى ص ٤٦٧ وتحقيق التراث ـ جامعة أم القرى .

(٧١) الكتاب ـ سيبويه ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٧ م .

(٧٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكى القيسى ـ تحقيق د / محيى الدين رمضان ـ دمشق ١٩٧٤ م .

(٧٣) الكنز اللغوى فى اللسن العربى تحقيق الدكتور أو غست هفنر ـ بيروت ١٩٠٣ م .

(٧٤) لحن العامة للزبيدى تحقيق د / عبد العزيز مطر ـ دار المعارف ١٩٨١ م .

(٧٥) اللهجات العربية فى التراث ـ د / أحمد علم الدين الجندى ـ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٧٦) ماجاء على فعلت وأفعلت لابن الجواليقى ـ تحقيق ماجد الذهبى ـ دار الفكر ـ بيروت .

(٧٧) مايجوز للشاعر فى الضرورة للقزاز القيروانى ـ تحقيق د / رمضان عبد التواب ، وصلاح الدين الهادي ط . المدنى القاهرة ١٩٨٢ م .

(٧٨) مجاز القرآن لأبى عبيدة تحقيق سزكين ـ بيروت ١٩٨١ م .

(٧٩) مجالس ثعلب تحقيق عبد السلام هارون ـ دار المعارف .

(٨٠) مجالس العلماء للزجاجى ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ طبع الخانجى والرفاعي ١٩٨٣ م .

(٨١) المجموع المغيث في غريبى القرآن والحديث لأبى موسى المدينى ـ تحقيق العزباوى ـ مطبوعات جامعة أم القرى .

(٨٢) المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات لابن جنى ـ تحقيق على النجدى ناصف ، وشلبي ـ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٩ م .

(٨٣) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ـ تحقيق جماعة ـ طبع معهد المخطوطات العربية .

(٨٤) المخصص لابن سيده ـ القاهرة ١٣١٩ هـ

(٨٥) المذكر والمؤنث لابن الأنبارى ـ تحقيق د / عضيمة ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٨١ م .

(٨٦) المذكر والمؤنث لابن جنى ـ تحقيق د / طارق نجم ـ جدة ١٩٨٥ م .

(٨٧) المزهر فى علوم اللغة للسيوطى ـ تحقيق جماعة ـ القاهرة .

(٨٨) المساعد على تسهيل الفوائد ـ لابن عقيل د / محمد كامل بركات ـ مطبوعات جامعة الملك عبد العزيز ١٤٠٠ هـ .

(٨٩) المشوف المعلم فى ترتيب الإصلاح على حروف المعجم للعكبرى ـ تحقيق ياسين محمد السواس ـ مطبوعات جامعة أم القرى .

(٩٠) المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير ـ للفيومى ـ تصحيح الشيخ عبد العظيم الشناوى ـ دار المعارف ١٩٧٧ م .

(٩١) معانى القرآن ـ تحقيق محمد على النجار ، وأحمد يوسف نجاتى ـ ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٩٢) معانى القرآن للفراء وإعرابه للزجاج ـ تحقيق د / عبد الجليل شلبى ـ بيروت .

(٩٣) المعانى الكبير ـ لابن قتيبة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٨٤ م .

(٩٤) معجم البلدان ـ ياقوت الحموى ـ بيروت ١٩٧٩ م .

(٩٥) المغنى لابن هشام ـ تحقيق مازن المبارك وآخرين ـ بيروت .

(٩٦) المفضليات ـ تحقيق أحمد شاكر ، وعبد السلام هارون ـ دار المعارف ط سادسة .

(٩٧) مقاييس اللغة لابن فارس ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ طبع الحلبى .

(٩٨) المنتخب من كلام العرب لكراع النمل ـ تحقيق د / محمد العمرى ـ مطبوعات جامعة أم القرى ١٤٠٩ هـ .

(٩٩) الموشح للمرزبانى ـ تحقيق محمد على البجاوى ـ دار نهضة مصر ١٩٦٥ م .

(١٠٠) نشوة الطرب فى تاريخ جاهلية العرب ـ لابن سعيد ـ تحقيق د / نصرت عبد الرحمن ـ الأردن .

(١٠١) نضرة الإغريض فى نصرة القريض للمظفر بن الفضل ـ تحقيق د / نها عارف الحسن دمشق ١٩٧٦ م .

(١٠٢) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ـ تحقيق كمال مصطفى ـ طبع الخانجى ١٩٤٩ م .

(١٠٣) النكت فى تفسير كتاب سيبويه للشنتمرى ـ تحقيق زهير عبد المحسن سلطان ـ معهد المخطوطات العربية الكويت ١٩٨٧ م .

(١٠٤) النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ـ تحقيق الطناحى ، والزواوى ـ القاهرة ١٣٨٣ هـ .

(١٠٥) همع الهوامع ـ للسيوطى ـ تصحيح النعسانى ط السعادة ـ القاهرة ١٣٢٧ هـ .

(١٠٦) الوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجانى تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ والبجاوى ـ ط الحلبى ١٩٦٦ م .

(١٠٧) وصف المطر والسحاب لابن دريد ـ تحقيق عز الدين التنوخى ـ دمشق ١٩٦٣ م .

فهرست الموضوعات

تابع فهرست الموضـــوعات

١٢ ـ معجم ماستعجم فى اسماء البلاد والمواضع للبكرى ـ تح مصطفى السقا ـ بيروت

١٣ ـ المنصف لابن جنى ـ تح ابراهيم مصطفى ، عبدالله أمين ـ طبع الحلبى ١٩٥٤م .

١٤ ـ نسب عدنان وقحطان للمبرد ـ طبع دار الكتب المصرية .

١٥ ـ نقائض جرير والفرزدق ـ دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت .

١٦ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان ـ تح إحسان عباس ـ بيروت ١٩٧٧م .

رقم الإيداع
١٩٩١ / ٧٦١١
الترقيم الدولى
I.S.B.N.977-00-2080-X
سبتمبر ١٩٩١م